مظاهر اختراق العولمة الثقافية للهوية القومية ومكونات الثقافة العربية المعاصرة
(التحدي ـ الاستجابة ـ الرّد)

د . عبد الله محمد الفلاحي *

مقـــدمة

يستهدف البحث وفق منهج وصفي . تفسيري . تحليلي . نقدي . الكشف عن الأخطار الناجمة من العولمة وبخاصة الثقافية منها على هويتنا الثقافية ، وخصوصيتنا القومية ووعينا القومي ، من خلال أهدافها ، وأساليبها ، ووسائطها ، وذلك بفحص وتقصي العديد من مظاهر الاختراقات التي تسللت إلى باطن أهم أوعية الثقافة والهوية الوطنية والقومية ، ألا وهو مكونات الثقافة العربية الإسلامية، مثل : الدين ، واللغة ، والتاريخ ... الخ . فضلاً عن محاولات الاختراق التي تطال ما هو قائم من الفلسفة التربوية العربية بغض النظر عن وضوحها من عدمه، وذلك عبر بعض من مدخلات التربية العربية ، وعملياتها ، ووسائطها ، وأساليبها ، ووسائلها ، وقبل ذلك : مبادئها ، وأسسها ، وجوانب أهدافها المختلفة . ويأتي في المقدمة منها محتويات الكتب والمناهج الدراسية وبخاصة منها كتب المراحل الأساسية والثانوية ، وحصراً منها العلوم الإنسانية : [الدينية، واللغوية والتاريخية والاجتماعية – التربية الوطنية والقومية . وبمنهج الاستنباط يحاول البحث كذلك استخلاص أهم الآثار السلبية التي برزت في وعينا القومي عبر الفلسفة السياسية والمشروع النهضوي العربي الذي ننشد بداية تكوينه في التكامل الاقتصادي أو المشاريع الوحدوية الأخرى .

وبمنهج تكاملي لا ينظر إلى عامل بعينه ، أو طريقة واحدة للرد حاول البحث أن يستقصي أساليب المواجهة على مظاهر الاختراق تلك من خلال العديد من الإمكانيات المتاحة لأمتنا بدءاً بفلسفة المقاومة في كل من فلسطين والعراق كمحور أساس في الفلسفة السياسية على الأقل في المرحلة الراهنة ، ثم بقية محاورها الأخرى الداخلية والخارجية مروراً بالفلسفة التربوية : مدخلات التربية ،

---

* أستاذ الفلسفة المساعد – كلية الآداب – جامعة إب .

وعملياتها : [الوسائط – الأساليب – الوسائل –] ، ومخرجاتها ، وأُسسها ، وجوانب استهدافها في النطاق المجتمعي الوطني والقومي ، وصولاً إلى محاولة إصلاح مواطن الخلل في مكونات الثقافة العربية الأخرى .

و الله الهادي إلى الصواب... ،،،،،

المبحث الأول :

العولمة والعولمة الثقافية ، وتداعياتها على الهوية الثقافية والوعي القومي العربي :

تمهيد : مثلت العولمة بصورها المختلفة عامة ، (والعولمة الثقافية خاصة) ، الخلاصة النهاية لفلسفة النظام الدولي الجديد ، الذي تشكل مع (تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م و حلف وراسو) الذي كان يشكل أساس التوازن في العالم ، مع القوة الإمبريالية والنظام الرأسمالي الذي شكلته أمريكا وأوربا عبر حلف الأطلسي . ومع اختلاف التوازن وظهور القطبية الأحادية، ممثلة (بأمريكا)التي أظهرت نفسها ، على أنها سيدة العالم ، وقائدة النظام الدولي الجديد ، تجلى ذلك من السلوكيات التي مارستها على العديد من القوى الحرة في العالم ، أبرزها العدوان الثلاثيني على (العراق) ، وحرب البلقان وضرب يوغسلافيا من قبل حلف الأطلسي. عكس هذا نفسه سلبا على العالم الثالث عموما ، والعالم العربي خصوصا . ظهرت هذه الآثار في إملاء السياسة الأمريكية على الأمة العربية من خلال الاتفاقيات المزعومة بين العرب والكيان الصهيوني ، مثل اتفاقية (أوسلو ووادي عربة ، وشرم الشيخ) كثمرة سلام باهتة لموافقة عدد من الأنظمة العربية على ضرب العراق عام ١٩٩١م . ثم مسارعة العديد من الأنظمة العربية المطبعة سرا مع الصهاينة ، إلى إبرام المعاهدات والاتفاقيات العلنية معه . وسوف نرى كيف عكس هذا الوضع نفسه على (الهوية القومية ، والثقافية) – عبر أهم مكوناتهما – التربوية والثقافية – في أقطارنا العربية ، وتوجهاتها الجديدة ضد ما هو قومي أو عربي أو إسلامي بوصفها أداة تغيير الوعي القومي بصورة غير مباشرة ، وقد وصل الأمر إلى حد التدخل الأمريكي المباشر في محتويات الكتب والمناهج الدراسية ومنظومة التربية

وفلسفتها ،وطرق التعليم بعد أحداث (١١ أيلول ٢٠٠١م) على كثير من أقطارنا العربية والحليفة لأمريكا خاصة .

لقد أظهرت العولمة (نظرية وممارسة) الفكرة القومية ، على أنها فكرة متخلفة في (القرنين العشرين والواحد والعشرين) في ضوء انبهارنا بالعامل الحد اثوي المعاصر ، والفراغ الذي تركته القومية والماركسية وتجزئة القضايا العربية ، بل والتآمر عليها ، من قبل الكثير من الأنظمة العربية في السر والعلن ، تجلى أخرها في العدوان على العراق واحتلاله في عام ٢٠٠٣م ، من قبل التحالف الأنجلو أمريكي الصهيوني ([٢] وعليه فإننا سوف نستقصي الصور المختلفة التي تم من خلالها التنازل عن استحقاق الهوية وفكرة القومية ،عبر الوسائط الفكرية والثقافية والتربوية للعولمة والنظام الدولي الجديد .

أولاً :العولمة الثقافية : التعريف ، المظاهر ، الأهداف، الوسائط

- معنى العولمة الثقافية :

لسنا بصدد استقصاء مفهوم العولمة ، وجوانبها المختلفة عموماً ، وآثارها على كافة أنظمة حياتنا العربية المعاصرة ، وإنما نقصر جهدنا على تحديد مفهوم العولمة الثقافية بشقه السلبي و جملة المخاطر التي أثرت أو نعتقد أنها تؤثر سلباً في تصدع المفاهيم القومية والوطنية ، وفي أهم مكونات الثقافة العربية ، مثل الدين ، واللغة والتاريخ ،والتربية ووسائل الأعلام المختلفة ، بوصفها سلاحاً خطيراً متقدماً ، يؤثر في ثقافتنا العربية وطبيعتها بين الأجيال الصاعدة .

فالعولمة الثقافية : كما روجت لها الأيدلوجية الصهيونية والإمبريالية المعاصرة ممثلة بأمريكا ، : (ذوبان العالم في كيان ثقافي واحد ، وسيادة ثقافة واحدة في العالم ، تجعله أمة واحدة ، بفعل ثورة الاتصالات وثورة المعلومات . ومن ثم لا مجال للتمييز بين شعوب العالم المختلفة ، ولا مكان للثقافة الخاصة بالشعوب ، حيث ستحل الأهداف الشهوانية والرغبات الإنسانية المادية الحسية ، وتصبح هي الثقافة البديلة للثقافة الفكرية ، والروحية التي ميزت الثقافات الشرقية عموما ، والثقافة العربية الإسلامية خصوصا [١] العولمة الثقافية عملية تعميم الثقافة الأمريكية على العالم ، بفعل العوامل السلبية للثقافات الأخرى .إنها ثقافة نخبة أو صفوة ،

وهي ثقافات مكبلة بالقيود ، وذات توجهات فكرية تستخدم لغة لا يفهمها غير القلة من الصفوة أو رجال الدين ، لتلبي احتياجات الإنسان المعاصر الباحث عنها في الثقافة الواحدة ، والدخيلة على مجتمعه .[٢].

العولمة الثقافية على مستوى ثقافتنا : تحويل مركب الثقافة العربية الإسلامية أو مركب الثقافة الخاصة ، أو الثقافة القومية بمكوناتها إلى قيم ومعايير الثقافة العامة ، وفق النموذج الأمريكي ، بوصفه نموذجا كونيا ، من خلال التطور الهائل والسريع في الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية .

والعولمة الثقافية بحسب الراديكاليين ، ثقافة إمبريالية ،تسعى إلى تهجين العالم وتجريده من خصوصياته ،وفرضه لنموذج الغرب الثقافي على الشعوب كلها ، بحجة الكونية القادمة التي تستهدفها العولمة [٣]

٢- مظاهر العولمة الثقافية وصورها :

تنجلي العولمة الثقافية في جملة من الظواهر ، والصور المختلفة منها :-

١- أنها ثقافة ما بعد المكتوب ، أو الصورة المؤثرة ، تشكلها إمبراطورية إعلامية ، تستخدم آخر ما توصلت إليه الثقافة المعلوماتية . ٢- أنها رديف الاختراق، بوصفه فعلاً اغتصابياً ثقافياً وعدوانياً .

٣- أنها وبنظر (عبد الإله بالقزيز) توجيه طريقة التفكير ، والنظر إلى الذات وإلى الآخرين صوب العالمية الجديدة . ٤- تستخدم مفاهيم خاصة ، مثل: التفاعل الثقافي ، والتداخل الحضاري ، وحوار الحضارات والتبادل الثقافي ، لتنتهي في آخر المطاف إلى ثقافة المركز ، والتي يجب أن تسود [٤] . ٥- أنها تتجه أو تتخذ مظهرا واسعا اسمه عولمة الفكر . ٦- الاتجاه نحو توحيد نمط العيش والاستهلاك بأسلوب نفسي دعائي ، يسعى إلى تفضيل نمط العيش والاستهلاك للسلع الغربية . ٧- الانطلاق من اللغة بوصفها قاعدة المعرفة والفكر ، وذلك بعولمة اللغة الإنجليزية في وسائل ، ومناهج التربية ، والأعلام كافة ، بحيث تتحول إلى لغة عالمية بنسبة تصل إلى ٨٨٪ عبر شبكة الإعلام والاتصال والإنترنت . ٨- الاهتمام بعولمة الاقتصاد ونظم الحكم والتكنولوجية ، التي بدورها تتحول إلى عولمة ثقافية [٥]

٣- أساليب العولمة الثقافية ووسائطها :

تعتمد العولمة الثقافية جملة من الأساليب ، وعبر جملة من الوسائط والقوى التي تحقق عملية الاختراق للثقافة الوطنية والقومية ، بعضها داخلي ، وبعضها الأخر خارجي ، وبعضها بعيد في العمق التاريخي ، وبعضها الآخر حاضر الآن .

أ) أما القوى الداخلية : فتعتمد العولمة الثقافية على عدد من القوى الاجتماعية المحلية الخاصة مثل : الأحزاب، والمنظمات الجماهيرية والمهنية ، وبخاصة المرتبط منها بالمنظمات الدولية . وقوى غريبة غير عربية (الأقليات) الدينية ، والعرقية ، والطائفية والمذهبية ، وهي تمتد إلى عصر الاستعمار في العالم الثالث ، وزرع هذه الاتجاه داخل هذا الكيانات .

ب) أما القوى الخارجية :(وتمثل الثقافة المجاورة) ، وثقافة الاستعمار نفسه: الإعلامية ، والتربوية ، والإيديولوجية والسياسية [٦] .

ج)وأما القوى ذات المرجعية الجغرافية ، والتاريخية : فقد تمثلت بجملة من أساليب ووسائط من مثل: ١- مرجعية الدول القطرية . ٢- المرجعية التاريخية والجغرافية أو المرجعيات الثقافية والتاريخية للأمم والشعوب التي دخلت الإسلام : فرس –أتراك الخ .

د) الوسائط والقوى الفكرية والأخلاقية والسياسية :- وهي تمثل وسيط في الاختراق الثقافي للعولمة ،عبر إبراز العديد من الأصول والمرجعيات من مثل :- ١) الأصول العقائدية والإيديولوجية :(صليبية – عنصرية – صهيونية إمبريالية) ،رغم الاختلاف الظاهر بين هذه الأصول ، والمرجعيات ، لكنها - برأي (د . عبد الله عبد الدائم)- جعلت عالم اليوم يجمع بين البربرية القادمة من أعماق العصور التاريخية ، وبربرية مجهولة الهوية ، الناجمة عن التقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي . ٢) الوسائط السياسية والإعلامية التبشيرية بالقوة المادية ، وهي التي مهدت للتطبيع مع الصهاينة تحت مظلة القوة أي أن الاختراق حل من خلال ممارسة القوة [٧] . ٣) أصول مفاهيمية : وتعتمد العولمة الثقافية ، مرجعية أخرى للاختراق ، تعني باصطناع مجموعة من المفاهيم ، والمسوغات والشعارات التي تجمد فعل أية آلية ذاتية دفاعية ، تنطلق من التصور التاريخي للعدو من الصديق ،

وتحديد مسافات الاقتراب والتجنب . ٤) أصول أو آلية قيمية وأخلاقية: وتعتمد العولمة الثقافية تكريس قيم ومعتقدات ، لا تنسجم مع جوهر الثقافة القومية (الثقافة العربية الإسلامية . كالفردية والأنانية والاغترابية والاستهلاكية ، بوصفها - ينظر د. الجابري - ثقافة إشهارية إعلامية، سمعية بصرية، تقوم على مجموعة من الأوهام ، هي نفسها مكونات الثقافة الأمريكية الجماهيرية ، ذات الأثر السريع في عقول الأفراد ، والقدرة على تشكيل الثقافة السطحية [٨] .

ه) **المرجعية الاستعمارية الإمبريالية المباشرة** : و هي مرجعية اختراق صهيونية ، تأخذ مداها في التطبيع والدعوة إلى التعايش مع الصهيونية على حساب قضية فلسطين ، مصدرها هيمنة إمبريالية أمريكية مباشرة ذات مضمون (أنجلو سكسوني- فرانكفوني) ، تأخذ مداها في العولمة التربوية الثقافية على حساب الثقافة القومية والبحث عن معادلة سياسية أو اقتصادية أو ثقافية للفكرة القومية [٩] . وهذه تنفذ عبر جملة من الوسائط والوسطاء مثل ، السلاح، المؤسسات السياسية الفرعية ، الأحزاب والمنظمات ، وبخاصة ذات الارتباط بالمنظمات العالمية أو الدولية ، – الاتفاقيات والمعاهدات السياسية والاقتصادية ، والثقافية والتربوية والإعلامية والتكنولوجية ، والعسكرية والأمنية، المؤسسات العلمية والثقافية ذات الطبيعة الإقليمية والدولية – الرموز الفردية والجماعات غير الرسمية – وسائل الاتصال الحديثة – مؤسسة الإعلام المفتوحة [١٠]

٤- أهداف العولمة الثقافية ووسائلها:

١- تطويق الإبداع الأدبي والفني ، لدى الشعوب ذات الهوية الثقافية المتميزة وإغراقه في تفاصيل ذات صلة بتسويق صناعاتها ومنتجاتها الفنية ، والأدبية والعلمية . وتهميش الثقافة الوطنية واللغة القومية ، بفرض القطب الاقتصادي وثقافته ، عبر التواصل وحده . وتقليص العلاقة بين المثقف الوطني والقومي ، وخبرته المباشرة بحياته وعمله ، بفعل تقديم الثقافة الأجنبية الجاهزة والمعرفة التلقائية .وإلغاء الروابط الروحية ، والتراث والتاريخ للأمم

التي تعد الدين والتاريخ والتراث جزءاً حيا من ثقافتها وشخصيتها الحضارية والاجتماعية الإنسانية .

٢- وأما وسائلها ، فتشمل : السيطرة على وسائل الأعلام والدعاية الإعلامية ، ونشر الأفكار المعادية والهدامة لأماني الأمم والشعوب ، وسلختها من جذورها وتاريخها وأخلاقها وترابها ، وتنفيذ هذه الأهداف بوسائل تكنولوجيا حديثة ، تكنولوجيا الاتصال من مثل الأقمار الصناعية ، وأجهزة البث المختلفة (شبكة الحاسوب ، والانترنت – وسائل النقل الحديثة وترويج الكتب والمطبوعات والمجلات والصحف الهدامة مباشرة ، أو من خلال شبكة الإنترنت) [١١]

٥- مخاطر العولمة الثقافية :

استخلص كثير من الكتاب والباحثين ، من مثل :(د. الجابري) ، جملة من المخاطر العامة والخاصة ،للعولمة الثقافية على الثقافة الوطنية والقومية ومكونات الهوية عموما منها :-

١- أن الاختراق الثقافي ، يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع إلى التفتيت ، والتشتت ،لربط الناس بعالم اللاوطن واللا أمة واللا دولة ، أو يغرقهم في أتون حرب أهلية .

٢- أنها تكدس الثنائية ، والإنشطار في الهوية ، والثقافة القومية . ٣- تقوم على جملة أوهام ، هدفها التطبيع مع الهيمنة ، وتكريس الاستتباع الحضاري ، بل وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي[١٢] . ٤- انعدام الأمن الثقافي ، بفعل الغزو الثقافي والمنقول إلى أقاصي الريف ، بفعل القنوات الفضائية ، وما تبثه من برامج وأفلام . ٤- اختراق الثقافة الوطنية والقومية ، والتوغل في منظومة الثقافة القومية ومكوناتها ، بإحلال مفاهيم دخيلة محلها ، بهدف تقبل الثقافة العالمية الجديدة من خلال أوهام: (الفردية - الحرية الشخصية – المبادرة الفردية – الحيادية).

٥- تحقيق التبعية وفرضها على الثقافات الوطنية والقومية للثقافة الكونية ، بفعل الانبهار بها ، بوصفها النموذج المميز [١٣] . ٦- خلق حالة من الاغتراب بين

الفـــرد ، وقيمـــه الثقافيـــة ، والاجتماعيـــة (الوطنيـــة – القوميـــة – الدينيـــة والاجتماعية) وخلق اتجاه سلبي نحوها وإيجاد حالة من اللاتوافقية داخل الإنسان .

٧- وإذا كان للعولمة الثقافية من إيجابية، تتمثل في التوسع في التعليم وإشاعته ، والقضاء على الأمية ، واتساع قاعدة المعرفية المعلوماتية أو تعدد مصادر المعرفة والثقافة ، فإن أهم أخطار هذه الحالة يتمثل في : تكريس حالة التخلف . والتقليد واجترار المعرفة النقلية .وظهور الاتكالية البحثية والعلمية ، بسبب انتشار الثقافة السمعية والبصرية والإنترنت ونظام الحاسوب . وتكريس المفاهيم الثقافية المتناقضة والرأي الأحادي، ورفض ثقافة الأخر الخصوصية ، ونفي الأفكار المطروحة سلفاً ، وإهمال جذور العلوم والمعرفة في المناهج التربوية [١٤] .

ثانياً : مظاهر اختراق العولمة الثقافية للمفاهيم القومية :

١- تحديد مفاهيم الهوية القومية ومكونات الثقافة العربية :-

١- مفهوم القومية : مجموعة من الروابط الثقافية ، الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد ، ولها تاريخ واحد ، ومصالح مشتركة .

٢- مفهوم الوعي القومي : هو عبارة عن إحساس قوي بالاتحاد ، وإدراك جماعي للعناصر المشتركة بين مجموعة بشرية متجانسة ثقافيا وللتحديات التي تواجهها ، وتحول دون بناء هويتها ، وتسوغ مشروعها السياسي والحضاري [١٥] .

٣- مفهوم الأمة : كل جماعة يجمعها أمرا ما إما دين واحد ،أو مكان واحد أو زمان واحد أو هي البيئة الطبيعية التي توحد بين السكان في اللون والخلق والشيم ونحوها . أو هي التي تتوافر فيها الخصائص التي يعرفها الأقدمون للجماعة البشرية التي تسمى بالقوم، والانتماء إلى أمة ، (ليس مذهبا ولا فلسفة ، وإنما هو واقعة اجتماعية أو نفسية ، ذات جذور تاريخية أو جزء من حقيقة ارتباط القوى بذات جماعية ، هي الأمة العربية ، بالمعنى القومي [١٦] .

٤- مفهوم الوطن: هو الأرض التي تستقر فيها الأمة وتنتهي بها الرابطة التي تجعل من البشرية أمة [١٧].

٥- مفهوم الهوية: جملة الخصائص المميزة لأمة من الأمم ،أو جماعة من البشر ، وتتكون الهوية أو القومية من جملة أمور ، هي وحدة الأرض ، والبقعة الجغرافية واللغة ، بوصفها أهم مميز لنا ، والدين والتاريخ المشترك. وجملة القيم والأعراف والعادات والتقاليد (الثقافة الخاصة وفق مكوناتها) . أو أن الهوية : هي الأمة ، بمكوناتها الجغرافية والديموجرافية والاجتماعية ، والثقافية والدينية . والأمة التي تمثل مكون الهوية ، هي الجماعة الاجتماعية التي تحقق وعيها بذاتها كجماعة ، وتعي التمايز فيما بينها وبين سواها من الجماعات الأخرى ، وهي التي تكون لها نظرة أو صورة عن العالم أو المحيط ، داخل منظومة من المعارف ، والقيم التي تؤسسها لنفسها [١٨] .

٢- العلاقة الجدلية بين مفاهيم الهوية الثقافية لتشكيل الوعي القومي .

١- الهوية :تقول المعادلة : إن هناك هويات ثقافية متعددة ، لا ثقافة واحدة بمستوياتها الثلاثة (الفردية – الجمعية، – الوطنية ، القومية) تتحدد أساسا بنوع الآخر الذي تواجهه .

٢- الوطن والأمة و الدولة : والتي بها تكتمل الهوية ، بوصفها المرجعية التي تنطلق منها ، تعكس (الحضارة – الثقافة الدين - التاريخ - الأمة) . وهذه كلها مجتمعة لا تستطيع العولمة أن تكون شيئا ماديا لهذه الثقافة القومية ، أو تظل الثقافة والهوية القومية أن تحتفظ لنفسها وبخصوصياتها ، وإنما هناك إحلال للثقافة العولمية محل الثقافة القومية [١٩]

٣- الوحدة العربية : مفهوم قومي فوقي ، يحدد على مستوى اتحاد المسارات المختلفة في عملية كلية متكاملة ، وتقوم على جملة من المقومات ، هي مقومات الأمة ، والهوية القومية ، تتمثل في : [اللغة ،والتاريخ ، والحضارة ،والمصير المشترك ، والعادات والتقاليد العربية ، والمقومات الاقتصادية ، والجغرافية] . والتي يسعى الاستعمار ، والإمبريالية والصهيونية ، إلى إضعافها لتسهيل عملية السيطرة على الأمة ، واستنزاف خيراتها ومواردها ومصادرة هويتها ، وإذابة كيانها التاريخي والحضاري [٢٠]

هذه المفاهيم ووفق العلاقة الجدلية التلازمية بينها ، هي التي تشكل طبيعة الثقافة العربية الإسلامية ، وهي التي تحدد الوعي القومي ، وتميز الهوية العربية ، والتي بفعل ترابطها وتلازمها عبر تاريخنا العربي الإسلامي التي كانت هي الحصن الحصين ضد كل محاولات الغزو والاستلاب التي تعرضت لها أمتنا عبر الفترات التاريخية المتلاحقة ، منذ ظهور الإسلام وحتى حركات التحرر العربي في العصر الحديث ، ضد أشكال الاستعمار . وهي أساس حضارتنا العربية الإسلامية وسيادتها العالمية ، والتي أدرك الاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة أهميتها في الأمة ، ومن ثم محاولاته المستمرة استهدافها عبر أساليبه المتعددة . من هنا لابد أن نقف أمام مظاهر وصور وأساليب استهداف الاستعمار – عبر العولمة الثقافية- لهذه المفاهيم ، من خلال أهم وسائط الثقافة وأوعيتها المؤثرة ، مثل : [التربية ، والإعلام والوسائط الثقافية الأُخرى] ،والوقوف على بعض حالات التصدع التي وقعت على هذه المفاهيم ، وأثر الانتفاضة الفلسطينية ، والمقاومة الوطنية العربية الإسلامية في العراق في إعادة بعثها من جديد ، ورؤيتنا في ضوء الأحداث الجارية لأهم الطرق والأساليب لمواجهة محاولات اختراقها .

٣- وسائط وصور استهداف المفاهيم القومية والهوية الثقافية العربية والإسلامية :

لقد استهدفت الهوية الثقافية والقومية - وما تزال – عبر تاريخ ا الطويل وحتى اليوم ، من قبل الاستعمار القديم والحديث وبوسائل شتى ووس مختلفة . لأنهُ رأى بها الحصن الحصين الذي يحمي الأمة أكثر من أيَ وس مادية أخرى . لذا فقد اتخذ الاستعمار كافة السبل والمناحي لضرب الهوية الث والقومية ، بقوى داخلية وقوى خارجية ، نذكر منها : -

١- ٣- قوى الاستهداف الداخلي : وقد تجلت بتوظيف العديد من القو الاجتماعية الداخلية ، ومنها : أ) القوى السياسية والفكرية : وقد تجسد ذل بانقضاض التيار الديني السلفي أو الرجعي على القومية ، بإيحاء مباشر وغي مباشر من الاستعمار الغربي ، واختطاف جزءٌ من جماهيرها ، بعد أن شعر الف والاستعمار الإمبريالي ، بخطر القومية على مصالحه في العالم العربي والإسلامي وتحت فهم خاطئ ، أن القومية خطرٌ كبيرٌ على الإسلام ، لمدة أربعين سنة ، وله

يدرك التيار الديني أنه كان ينفذ سياسة الغرب عامة ، و أمريكا خاصة [٢١] .ب - الممارسات القطرية التي جردت مفهوم القومية من شرعيتها الفكرية والاجتماعية والسياسية ، عبر كثير من الممارسات الأيديولوجية والسياسية الخاطئة من قبل النخب السياسية أو الثقافية بوعي أو بدون وعي ، تنفيذاً لأهداف خاصة أو خارجية . [٢٢] جـ- انكسارات البنية السياسية العربية ، لارتباطها بمصالح الدول الأجنبية التي تقف بوجه قيام الدولة على أساس وطني ، ومن ثم مصلحة هذه القوى ، أن يبقى الانتماء إلى الثقافة العامة الشاملة شكلياً ومظهرياً ، واختزال الدولة الوطنية بإقطاعية للنخب وتعميق الولاء القطري بأنه كافٍ ليكون ولاءً للأمة ،حتى مع توفر عناصر أساسية كاللغة ، والدين [٢٣] .د- تكريس الدولة القطرية ، على أساس المرجعية التاريخية ، الجغرافية ، والمنطلقات الثقافية والتاريخية للأمم ، والشعوب التي دخلت الإسلام ،(فرس أو أتراك) ، وعلى أساس سيادة حكم الأقليات وتكريس ثقافتها في الأقطار التي حكمت أو تواجدت فيها [٢٤] .

هـ- كما أن محاولة استعادة الهوية حفل بأهم عائق أمامها ، وهو : أن الشخصية العربية المعاصرة ، تصطدم بالأساطير القومية القطرية أو الإقليمية ، التي صنعها لنا الغرب في بداية القرن ٢٠م ، حين أوجدها ، وسوقها بثوب جديد هو (القطرية) أو أقل ،منها فطغت أسطورة الفرعونية ، الفينيقية والسومرية والأمزينية بين مثقفي الأمة ، ورجالاتها الفكرية ، والتربوية ، فضلاً عن الاختباء و الانزواء النفسي المتمثل بالتغني بالأمجاد الماضية ، تعويضا لنا عما نحن فيه من هموم الحاضر وأحزانه [٢٥] .

٢-٣- الفلسفة التربوية ومنهج تدوين التاريخ والثقافة .

أ- طريقة كتابة التاريخ العربي وتدريسه حالياً :

تعددت مدارس كتابة التاريخ العربي ، وطرائق تدريسه ، بين من يؤكد على الانتقائية في تدريس التاريخ ، (التركيز على الجانب الإيجابي) ، وبين من يرى بعرض التاريخ كما هو للطالب حتى يعرف الجانب الإيجابي والسلبي ،ويكون فكرة صحيحة عن الموضوع . وطرف ثالث : يرى تدريس التاريخ العربي (القومي) بصورة موضوعية ،كما حدث ،دون انتقائية ، ولذا يجب - بنظر هذا الطرف-

إلى الكيفية التي يقدم بها الدرس التاريخي ، و أن يعطى الطالب الدرس بالطريقة التي تجعله يستفيد من عدم تكرار أخطائه ، وأنه بدراسته التاريخ يسهم في تحقيق الأهداف الكبرى للأمة ، وعبره يبني جسراً يصل عبرهُ إلى هدفه السامي وهو الوحدة . وبين هذه الطرائق المختلفة توزعت وتمزقت الفكرة القومية المنشودة . [٢٦] .

وللتدليل على صحة هذا الاستنتاج ، كتب المفكر الإسلامي القومي ، د.محمد عمارة ،في مجلة العربي موضوعاً ، استهلهُ بسؤال !! (هل يمكن تحليل التاريخ بمنهج العاهات المزمنة) ؟ وفيه يرد على بعض ما جاء في كتاب : د . محمد جابر الأنصاري ، (تكوين العرب السياسي) . وقد أشر بدءاً : تراجع الفكر والمشروع القومي بعد نكسة حزيران ١٩٦٧م ، وعدم اكتمال نصر (١٩٧٣م) ، الذي لم يساعد على استعادة كامل أمل الأمة في الوحدة . ثم يشير إلى عقم الاستدلال بالعوامل الجغرافية ، والديموجرافية للوطن العربي ، بوصفها سبباً في عدم قيام المشروع القومي العربي ، والاستدلال بجملة النكسات التالية ، بأنها سبب في اليأس من قيام هذا المشروع . ويتساءل د. عمارة ؟؟ كيف أن هذه العوامل تحول دون قيام المشروع القومي ، ولم تحل دون إلحاق العرب بالعالم في ظل العولمة [٢٧]

ب -طبيعة الفلسفة التربوية العربية المعاصرة الحالية.

إن الأقطار العربية وبعد خروج الاستعمار واستقلالها منه ، (مع منتصف القرن العشرين) ، واتجاهها إلى التحديث وعند محاولتها بناء مشروعها التربوي ، اقتبست كثيراً من ملامح الفلسفة التربوية ، وسياستها التعليمية - بسبب التبعية - وفق النموذج الغربي لنمط العلاقة بين التربية والثقافة والمجتمع ، والتي بدورها - بحكم هذه العلاقة - ، استطاعت أن تحول جزءا كبيرا من البنيان الثقافي القومي بأساليب مختلفة ، وتجاوز النمط الثقافي السائد في المجتمع العربي الذي حاول دعاة النهضة العربية الحديثة إعادة الاعتبار له ، وتصحيح مساره ، بما يجسد مفهوم الهوية والقومية ،دون إغلاق الباب أمام ما هو ضروري في تجديد الثقافة والتربية العربية ، الإسلامية – كما أوضحتهُ العديد من الدراسات والبحوث التربوية العربية [٢٨] ** .

٣-٣ - قوى الاستهداف الخارجي :

أ) الاستعمار القديم / الجديد : عرف عن الزعيم الهندي (نهرو) مقولته الشهيرة في ذكرى خروج الاستعمار البريطاني التي تقول "لا تصفقوا لخروج الاستعمار ، فإنه قد وضع في طريقكم ، وطريق الأمم والشعوب التي تحررت منه ، من الأشواك التي تجعلكم يوما ما ، تستعدونه لإزالتها" . وهذا ما ينطبق على أقطارنا العربية ، والإسلامية التي تحررت من الاستعمار القديم .

فبالإضافة إلى حالة التخلف الاقتصادي ، والاجتماعي والسياسي والثقافي ، التي سادت أقطارنا العربية ، عبر حقب طويلة من ، الزمن فإن هناك من الأمور التي زرعها الاستعمار فيه ، بعد خروجه العسكري ، مثلت عوامل هدم للمفاهيم القومية وتراجع المشروع القومي العربي أهمها :-

١- تكريس التجزئة بين أقطار الوطن العربي ، عبر اصطناع الحدود السياسية ، وإقامة كيانات سياسية هزيلة ، على أنها تمثل دولاً مستقلة تتفق طبيعة هذه الكيانات وأطماع الاستعمار في المنطقة .

٢- إجهاض المشاريع الوحدوية العربية والإسلامية بدءا بإلغاء الجامعة الإسلامية التي تبناها (جمال الدين الأفغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي ، ومحمد عبده) ، ثم مشروع الثورات العربية واختزالها جغرافياً على بعض الأقاليم أو الدول المتقاربة ، ثم مشروع الوحدة العربية الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية بعدها واختزالها بتبني قيام الجامعة العربية ، ثم إجهاض المشاريع الوحدوية المختلفة : (بين مصر وسوريا ، وبين مصر وسوريا والعراق ، وبين سوريا والعراق ، وحتى المشاريع الجديدة المتمثلة بمجلس التعاون العربي عام ١٩٨٨م والاتحاد المغاربي) ، والإبقاء على نموذج مجلس التعاون الخليجي الذي اقتصرت أهدافه على دوله ، وخدمة الإمبريالية والصهيونية .

٣- زرع الكيان الصهيوني ، - بعد إنهاء الانتداب الإنجليزي - في فلسطين ، شوكة في قلب الأمة العربية ، ومصدراً للتوتر والاضطراب في الشرق الأوسط ، ووسيطاً ملتزماً لاستمرار ابتزاز العرب ونهب خيراتهم من قبل الدوائر

الإمبريالية والصهيونية الغربية المتواجدة في المنطقة بالثقل العسكري والاقتصادي ، وسبباً في استمرار تهديد كيانها وهويتها القومية .

٤- خلق بؤر التوتر بين الأقطار العربية نفسها ، وبينها وبين جيرانها من الدول الإسلامية وغيرها ، سواءً كانت متكاملة أو منفردة ، عبر صراعات حدودية أو اقتصادية أو دينية أو طائفية أو مذهبية ، وحرمانهم من حق الاستقرار والشروع في نهضة تنموية عربية متصلة ، والإبقاء على حالة التبعية بصورها كافة ، وسلب إرادة الاستقلال السياسي والاقتصادي والعلمي والعسكري ، حتى لا تهدد مصالحهم ، أو يهدد الصهاينة في المنقطة .

٥- بالمقابل استمرار دعم هذا الكيان الصهيوني ، عسكريا ، وماليا ، وعلمياً ، بما يمكنه من الاستمرار في التفوق على الوطن العربي بأكمله .

٦- استمرار الهزائم العسكرية العربية مع الكيان الصهيوني المدعوم من الدوائر الغربية من عام ١٩٤٨- ١٩٥٦ – ١٩٦٧ م ، وإضعاف شأن نصر (حرب رمضان أكتوبر عام ١٩٧٣ م) ، وعقد أول معاهدة للسلام بين مصر والكيان الصهيوني عام ١٩٧٧م وتوالي هذه المعاهدات الفردية بين بعض الأقطار العربية والصهاينة . والأمر الذي أنذر - بنظر كثير من المحللين - بداية تراجع المشروع القومي العربي ، والذي – بفعله - انهالت على عقل الأمة أفكارُ تكرس الفرقة ،والتمزق ، بل وتصل إلى حد السخرية من القومية العربية والوحدة العربية ، بل ووجود أمة عربية أصلًا .وقد بدأها بعض الحكام العرب ،وتلقفها مفكرو ومثقفو التطبيع من أبناء الأمة العربية ، والعمل باتجاه اعتبار الأمن القومي خرافة، والتنمية القومية المستقلة وهماً ، والاستقلال الحضاري للأمة رجعية وجموداً . وقد ساعد على هذا قيام النظام الدولي الجديد ، الذي جعلهم يتصورون العالم بأنهُ قرية كونية ، يقتضي مسارعة الدولة القطرية إلى اللحاق به [٢٩] . منطلقين من الاستدلالات التي تشكك في إمكان استرجاع الأمة لهويتها ووحدتها القومية والحضارية .

٤ـ العولمة الثقافية ومظاهر اختراقها للهوية القومية والثقافية العربية :

٤ـ١ ـ صور اخترق العولمة الثقافية للمفاهيم القومية في ثقافتنا العربية المعاصرة :

٤ـ١ـ١ ـ عبر الفلسفة التربوية والمؤسسات التعليمية والمناهج الدراسية .

إذا كان حكام الغرب وقادتهُ عموما ، وأمريكا خصوصا ، قد أدركوا أن أشد المناطق مقاومة للاختراق في آسيا ، ثم في أفريقيا هي القطاعات الإسلامية والعربية ،بفعل أنصهار معاني التوحيد من ناحية ،والمراكز السياسية من ناحية أخرى ، إبان الاستعمار القديم ، الذي ظل محصورا في دوائر الحكم والمال ، ولم ينفذ إلى الإرادة الشعبية أو تدمير الهوية الثقافية والقومية العربية الإسلامية – رغم محاولاته وعبر هذه الوسائط نفسها أو غيرها – [٣١] فإنهم – وهم الاستعمار الجديد – وعبر الأيديولوجيا الجديدة :(العولمة الثقافية) في العقود الأخيرة من هذا القرن وحتى اللحظة الراهنة ، لجأوا إلى استخدام أساليب وقوى جديدة للاختراق الثقافي العولمي للهوية والمفاهيم القومية ، تمثلت بإملاء الفلسفة والمشاريع التربوية ، والمشاركة مباشرة ، أو غير مباشرة – عبر مراكز البحث ،أو المؤسسات المحلية المتصلة بالغرب ،والمؤسسات الدولية – في إعادة بناء المناهج التربوية ، وإدخال الخبرات التربوية والتقنية فيها . فضلاً عن وجود المؤسسات الأكاديمية ذات المصدر الأمريكي ، ودور خريجي المدارس والجامعات الغربية في اختراق الثقافة القومية ، كما تنبه إلى ذلك بعض رواد النهضة العربية ، إبان وجود الاستعمار في الأقطار العربية ، والعديد من الباحثين في التربية العربية المعاصرة – كما سنرى – .

– ومثلما ركز الاستعمار القديم ، ركز الاستعمار الإمبريالي الصهيوني الجديد ، على أدراج التربية كأحد البنود المهمة في أجندة السياسة الأمريكية والصهيونية في المفاوضات العربية مع (إسرائيل) . والهدف من وراء ذلك هو فرض التطبيع علينا قسرا ، من خلال تغيير مناهجنا التعليمية ، بحيث تخلو من أي ذكر للفتوحات والمعارك العربية ضد الاستعمار الصليبي ، والصهيوني ، أو أبطال الأمة المشهورين ، من مثل :(صلاح الدين ومعركة حطين ، و قطز ومعركة عين جالوت) ، وإعادة صياغة سجل تاريخ الفتوحات في الأندلس ، وعن هجرة (بني إسرائيل) ، وعن (رمسيس فرعون مصر) ، حتى تأتي مناهجنا متناسقة مع ما

تصنعه وتنتجه أفلام (هوليود) من محاباة لليهود ومن الوصايا العشر وحتى أفلام الكارتون [٣٢]. ولتأكيد صحة ما ذهب إليه الاستنتاج السابق ،

١- فقد تنبه (عبد الحميد بن باديس)- أحد رواد النهضة العربية الإسلامية الحديثة - ، إلى خطورة اختراق الهوية القومية والوطنية مبكراً، مع وجود الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي عامة ، والجزائر خاصة من خلال التربية . فاعتمد في مواجهة هذا التحدي على التربية ، وبواسطة المناهج الدراسية ، والمؤسسات التعليمية الحرة ، للحيلولة دون اندفاع الشباب الجزائري نحو المدارس الغربية التي تشكل ثقافتهم على النمط الغربي ، بهدف تربيتهم على الفخر بالإسلام ، والاعتزاز بالعروبة والإسلام . وجسد ذلك من خلال حملة النوادي الإسلامية والوطنية [٣٣].

وإذن مثلما استهدف الاستعمار الفرنسي طمس الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، من خلال المدارس ومؤسسات التربية والتعليم والمناهج عبر إلغاء اللغة العربية ، استهدف (ابن باديس)الحفاظ على الهوية من خلال الاهتمام بتعريب التعليم في المدارس ، ودعم اللغة العربية وتعليمها بواسطة جمعية علماء المسلمين ، التي صدت وأد اللغة العربية ودفن حضارتنا العربية ، على أساس أن الجزائر بلاده ، والإسلام دينه ، والعربية لغته [٣٤].

٢ – ومن الشواهد أيضاً ، الدور المزدوج للمؤسسات التعليمية والمناهج التربوية الدراسية في اختراق المفاهيم والوعي القومي ، يدلنا بحث الأكاديمي التونسي (د. محمد بشوش) ، الذي أعده في منتصف الثمانينات ، عن القياس والاتجاه نحو مفاهيم القومية : (الوحدة العربية – وتياراتها – القضية الفلسطينية)، كمحور للصراع العربي الصهيوني ، والانتماء إلى الوطن والأمة ، ومصير الوطن العربي عام ٢٠٠٠م . فبدأت له الصورة الواضحة في الاختراق عند تحليل النتائج التي طبقها على أساتذة (الجامعة التونسية)فوجد أن الاستعمار الغربي ، ورياح التغيير في الكيان المغربي خاصة ، والعربي عامة ، القادمة من الغرب ، ونمط التعليم في المدارس ، والجامعات التي تخرجت منها ، هذه الفئات ، وطبيعة التأثير الغربي في التعليم ،

ومناهج الدراسة ، أثرت كلها على طبيعة الوعي القومي ، (رغم حضوره بقوة في فكرهم) وظهر هذا الأثر فيها و تجلى من خلال إعادة ترتيب المفاهيم التي طرحها عليهم ، وعلى النحو الآتي :-

أ- التمركز حول الذات بالدرجة الأولى . وأرجع (الباحث)ذلك إلى حالة التنميط التي أعقبت مرحلة التحرر وبناء الدولة العصرية ، بحيث صار من الصعب قراءة تاريخ الأمة على نحو يتجاوز الانتماءات الإقليمية = ٥٣ ٪ (أنا تونسي) .

ب- الانتماء الإقليمي بالدرجة الثانية = ٢٩٪ (أنا مغاربي) . ج- الانتماء العربي بدرجة ثالثة ، لا يتجاوز الخمس الأخيرة إلا بقليل = ٢٢٪ (أنا عربي)وهذا يعني طغيان النظرة الإقليمية على القومية ، وهي تدل على تغلغل الرؤية المتمركزة حول الذات خصوصا مع التجزئة الاستعمارية ، والتبلور الجديد للانتماء الإقليمي وليد الدولة القطرية ، التي أصبحت لا تقل قيمة كدائرة انتماء عن (الجنس ، والدين ، والتاريخ ، والثقافة) . يقابل هذا وعي النخبة السياسية والثقافية ، التي ترعرعت في ظل الفكر الغربي ، والدين - بدلا من التأثر بالحركة القومية الأوروبية - يلجأ ون إلى الثقافة العربية الإسلامية كسلاح لمقاومة الذوبان ، وهو إجماع ثقافي تقاسمته كافة التيارات ، والتي قد لا تخفي تحفظاتها أو عدائها للتوجهات القومية ، التي دعمت في المشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهر لها أنصار في المغرب العربي [٣٥] . وقد توصل (الباحث) - كذلك - إلى دور المؤسسات التربوية والثقافية ، في إعادة بلورة دوائر الأهداف القطرية أو الإقليمية المغربية ، لأنها- بنظره - تحولت إلى وكالة لترويج هذه التصورات ، عبر البرامج والأهداف التربوية ، والعلمية والثقافية التي عكست ينابيع التأثير الغربي . كما اكتشف طرح التمايز القومي والبنى الفكرية التي يراها الكثير من المثقفين المغاربة حينذاك ، متعارضة مع أهل المشرق [٣٦] ولعل هذا - برأينا - إشارة إلى طروحات الثمانينات من قبل بعض المفكرين أمثال : (د . محمد عابد الجابري) . وكان

مثال الابتعاد عن العروبة والقومية في مرتبة تالية لطروحات الصفة العقلانية، والواقعية ، ولم يأت بعدها سوى تذويب الهوية ، والاندماج أو التأثير بالغرب [٣٧]

ج- شاهد آخر على الاختراق ، وهو هيمنة الجامعات الأمريكية في داخل أمريكا وانفتاحها على الطلاب الأجانب ومنهم العرب ، ودخول أشكال من هذه الجامعات إلى عدد من العواصم العربية (القاهرة – بيروت) مثلاً ، أخرجت أعدادا متزايدة من الشباب والنخب في العالم العربي خاصة ، والعالم الثالث عامة . هذه الأعداد حملت معها أساليب ثقافة وطرائق تفكير سلوك تشربتها خلال سني الدراسة ، وعادت إلى مواقع العمل المختلفة وأظهرت قدرة واسعة على التأثير في أوطانها بحسب ما اكتسبته في هذه الجامعات . [٣٨] .

والأدهى من ذلك أن البعض منها صار في مواقع القرار التربوي ، فشاركت بفاعلية ، وبدعم من المؤسسات الدولية ، المنتشرة فروعها في أقطارنا العربية ، في إعادة صياغة الفلسفة التربوية ، والمناهج الدراسية ،بما يتفق والثقافة العولمية الجديدة .

د- إن عملية الاختراق للمفاهيم القومية والثقافة القومية ، قد تسلل إلى داخل المناهج التربوية والمؤسسات التعليمية ، والذي أشرته (العديد من الأبحاث ، والدراسات ذات الصلة في الآونة الأخيرة وأرجعت هذه الدراسات تلك القابلية في المناهج والمؤسسات التربوية إلى جملة أمور داخلية أخرى ، تتصل بالحالة التعليمية في المؤسسات التربوية العربية ، ومناهجها من مثل :-

١- نسبة الالتحاق بالمدرسة في مراحل ما بعد الأساسية ضئيلة جداً . مما يعني حرمان جيش اجتماعي هائل من حقه في التحصيل العلمي ، ومن ثم تحصين الوعي القومي والاتجاه السليم .

٢- البطالة الثقافية والضحل المعرفي في أوساط المدرسين ،وغياب المشاركة والتفاعل مع كل جديد .

٣- شحة الإمكانيات والموارد اللوجستية والبنى الأساسية للتعليم .

٤- ضعف محتوى البرامج التربوية والتعليمية، في المناهج الدراسية والبرامج المصاحبة لها ، ومكونات العملية التعليمية ، وقصورها عن الإجابة عن الحاجات

المعرفية والعلمية والثقافية ، مما ينجم عنه مخرجات بشرية من أنصاف المتعلمين لا يستفاد من طاقاتهم في مرافق الإنتاج والعمل .

٥- الإخفاق المتزايد والذريع ، الذي مني به مشروع المدرسة الوطنية أو القومية ، الذي كان حلما نهضوياً متقدماً منذ قرنين [٣٩]

٦- الأسلوب: المتبع في ملء الفراغ التربوي بالاستعارة من الغرب . فنأخذ الفكرة ونقيضها ، دون أن يكون لخصوصيتنا دور كبير ، ولم نقف منها موقفا نقدياً ، ولم نقرأ الشروط الاجتماعية لولادتها ، أننا نستورد نظماً تربوية منزوعة من سياقها الاجتماعي ، وإن جاز هذا في الماضي ، فإنه يتناقض أكثرهُ مع توجه التربية الحديثة ، بزيادة تفاعلها مع بيئتها الثقافية والاجتماعية [٤٠]

٧- حصر دائرة التقدم العلمي والثقافي و التربوي في إطار لجلب والاستهلاك ، وليس في الإبداع والإنتاج ، الأمر الذي ليس فقط صدع ثقتنا بهويتنا و قدرة أمتنا ، وإنما إعاقة النهضة الحقيقية ، وإبقاؤنا أسارى العلم والتنمية السلعية التي غيبت دور الإنسان العربي ومؤسسات التنشئة الثقافية ، والاكتفاء بتقديس الثقافة التربوية والعلمية الوافدة وصيانتها .

٨- الغياب الكلي للرؤية الشاملة والمتكاملة للعلم في المجتمع العربي المعاصر ، والمنبثقة من تناوله من زوايا محددة : أبستمولوجية و سوسيولوجية وتاريخية ، مع غياب روح الإبداع وشروطه ومقوماته من منظور يصف واقع العلم والمعرفة ، ويشخص أسباب تعثرهما . [٤١]

٩- إضافة إلى غياب الثقافة العلمية ، تعرضت الفلسفة التربوية ، والثقافة العربية ، إلى حالة من العطب ، ليس بسبب ظاهرة اقتصادية النفط والريع عامة وحسب ، وإنما بسبب عطب حضاري حدث ، ويتم تكريسه من خلال نظم التربية والتنشئة الاجتماعية الفاشلة ، التي عجزت عن حث أجيالنا الجديدة على التعليم ، و الإضافة والاستزادة من المعرفة والإعمار [٤٢]

هـ) وشاهد جديد آخر على محاولة الاختراق ، تمثل بتدخل قوى الهيمنة العولمية العالمية الأمريكية مباشرة ، في إعادة صياغة المناهج التربوية وفق الثقافة الجديدة

للنظام الدولي الجديد . (وبخلاف القوى والوسائط الأنفة الذكر، ودورها في اختراق الوعي القومي والمفاهيم القومية عبر الفلسفة التربوية ،فقد جاءت الدولة العظمى لتتدخل مباشرة في اختراق هويتنا القومية القائمة على أساس من التلازم بين مكوناتها عامة ، والعروبة والإسلام خاصة ، من خلال الطلب المباشر إلى بعض أقطارنا العربية التي يعدها حليفا أساسيا له لتعديل المناهج بما يتمشى مع فلسفة النظام الدولي الجديد واتجاهات العولمة الثقافية الأمريكية وعلى نحو غير مسبوق في تاريخ العلاقات الدولية بين الدول والأمم ، فقد طلب الرئيس الأمريكي (بوش) إلى السلطة السعودية (بعد اكتشافها فشل تغريب المواطن العربي في السعودية أو اكتشاف دوره إذلال أمريكا في عقر دارها ، من خلال أحداث (١١ أيلول ٢٠٠١م) ، الذي مثل أعلى نسبة من المشاركين في هذه الأحداث ، ورد الأمريكان السبب في ذلك إلى التربية والمناهج السعودية التعليمية فيقول في رسالته : "أنتم تواجهون مشكلة مع الشعب الأمريكي الذي تملكه الشعور منذ أحداث سبتمبر بأن مدارسكم الدينية وآلاف المدارس الدينية التي تمولها حكومتكم في أنحاء العالم كافة " " إننا لا نملي عليكم كيف تعلمون أبناءكم " "ولكن ما أصاب أطفالنا وآباءهم هو بسبب هؤلاء المشتردين الذين تعلموا بمدارسكم " " إننا لا نخبركم كيف تعلمون أبناءكم ، ولكن نحتاج معكم أن تفسروا الإسلام ، بالأساليب التي تساعد على نشر التسامح الديني والسلام ، وإلا فسنعتبركم مصدرا لعقيدة وأموال هؤلاء الذين نشن عليهم الحرب الحالية تماما ، مثلما فعلنا في الاتحاد السوفيتي أيام الحرب الباردة " " أننا ندعوك إلى تحريم العمليات الانتحارية ، وأن هذه كلمة ذات أهمية ، نأمل إدراجها ضمن مناهجكم الدراسية " " إننا ندعوكم للنظر بإمعان في مدارسنا ، وإذا وجدتم نصوصا تهاجم الإسلام فاخبرونا بها " أخيراً : لقد أصبح من الضروري في ظل العولمة أن ننظر إلى ما يتعلمه أبناؤنا ". هذه النصوص والاقتباسات من الرسالة ، تبين إلى أي حد بدأت أمريكا تتدخل مباشرة ، وتطالب قسراً من الدول إعادة النظر فيما يتعلمه أبناؤها في ظل العولمة ، وتمارس ضغوطها على بعض الدول العربية والإسلامية . فبالإضافة إلى السعودية ، هناك تدخل في باكستان ، وربما طلبت من

اليمن ، يعد أن تأكدت من خلو المناهج المصرية والأردنية من أية أفكار دينية أو قومية تقاوم أفكار العولمة وتوجهات العالم الجديد وفق النمط الأمريكي ، وأن المناهج الدراسية الدينية أو الاجتماعية تحارب الإرهاب والجهاد وتقضي عليه)) [٤٣] .

إنها تريد أن تقوم بمهمة تعديل وتطوير المناهج التربوية العربية والإسلامية، نيابةً عن العرب والمسلمين أنفسهم ، ولا يهم إن هي أخلت بشروط تعديل المناهج ، من مثل :وجود معطيات ، ونتائج استخلاصات حركة التجديد التربوي والثقافي ، وإنما التركيز على ما يهمها من خطورة نحو الوعي القومي والديني ، والاتجاه السلبي نحو الغرب والثقافة الغربية ، والسياسة الغربية ، التي ما ولد الإنسان العربي الجديد ، إلا في ظل عداوة الغرب له ولأمته ولحضارته وثقافته وكيانه وهويته بل ولوجوده على هذه الأرض [٤٤] .

٢-٤-١ - عبر تغريب اللغة العربية والثقافة القومية والوطنية في المؤسسات التربوية .

١- أشرنا سابقاً إلى تنبه ابن باديس لاستهداف الاستعمار طمس الهوية الوطنية والقومية للجزائر عبر استهداف اللغة العربية في المدارس والمؤسسات التربوية والتعليمية ، والذي باستهدافها يكون قد حقق الاستعمار وأد الهوية ودفن الحضارة العربية . بوصفها (أي اللغة العربية) أهم مرتكزات القومية ، وأداة الحفاظ على الهوية والوعي القومي وهي أداة ربط ماضينا المجيد بالحاضر الأغر و المستقبل المنشود السعيد ، وهي وحدة اللسان ، والترجمان عما في القلب من عقائد ، وما في العقل من أفكار [٤٥] .

٢- لقد جاء تدهور اللغة العربية من طرق شتى ، أهمها غلبة الثقافة واللغة الأجنبية ، حتى أصبحت لغة التخاطب اليومي ، والتفكير باللغة الأجنبية التي يحسنها هذا المفكر أو ذاك ، ثم الانتقال إلى اللهجة المحكية ، ثم ترجمتها إلى اللغة العربية ، كما أنه (لا لصعوبة البحوث العلمية) يتجه الشباب المثقف إلى قراءة المجلات الثقافية ، والأجنبية [٤٦] لقد كان من نتائج هذه الحالة ، حصر الخطاب في نطاق ضيق على المستوى العربي والعالمي ، والانسلاخ التام عن الانتماء ، ومن ثم ضياع النتاج الفكري والثقافي ، بين تنكر قومي وتنكر من انتماء مفتعل ، وتراجع فكرة الانتماء ، والاغتراب عن ثقافته القومية [٤٧] .

٣-١-٤- عبر الانفتاح واللحاق بركب العولمة الثقافية الغربية .

كان الانفتاح العربي الإسلامي على العالم الغربي قد مثل ضرورة حتمية ، ومتزامنا (مع تواجد الاستعمار ، وبعد خروجه) ، اقتضتها ظاهرة الحداثة التي سادت العالم الغربي ، وجملة التطورات المتلاحقة على كافة الصعيد ، ولم يعد الانفتاح مقننا في الآونة الأخيرة بعد انهيار التوازن بين الشرق والغرب ، وتحول العلاقة بين أقطار العالم الثالث والعالم المتقدم ، إلى علاقة بين الشمال والجنوب ، الذي انتهى بنهاية المطاف إلى القطبية الأحادية ، وتوجه العالم كله شطر الغرب ،وتفرد الولايات المتحدة بالعالم الجديد ، والتحكم بمسار العلاقات والنظم السياسية والاجتماعية ولاقتصادية لكافة الشعوب وتحديد اتجاهاتها في ظل ما يسمى (بالعولمة) . وهذا ينطبق على أمتنا العربية التي هي أكثر الأمم والشعوب استهدافا ، لما تتمتع به من إمكانيات ومقومات تشكل بذاتها خطرا على مصالح القوى الإمبريالية وإمكان إسهامهم في ظهور قطبية موازية ، يمثلون جزأً فاعلاً فيها ، بالتحالف مع قوى دولية أخرى ترفض الذوبان في هذا الكيان المزعوم .(٤٨)

١- **فسياسيا** : كرس الانفتاح حالة القطرية من جهة ، والتبعية من جهة أخرى . كانت مظاهرها: تردي دور الجامعة العربية ، وفقدان الاستقلال السياسي بالقرارات المصيرية للأمة ، وتداعي كثير من أقطارنا العربية إلى التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة ، والانصياع لتوجيهاتها وأوامرها .والانفراد بقيام المعاهدات والتطبيع مع الكيان الصهيوني ، رغبةً أو رهبةً من أمريكا وقوتها وتفردها ، فضلاً عن المشاركة في التآمر على القوى العربية القومية المناهضة للصهيونية والهيمنة الأمريكية . .

٢ - **اقتصاديا** : تعثر مشاريع التكامل الاقتصادي العربي ، وإدارة النشاطات الاقتصادية القطرية ظهرها لنشاطات الأقطار الأخرى ، ولاتجاه شطر الاقتصاديات الإقليمية ، والعالمية بنسبة تبادل معها على نحو لا يقارن مع حجم التبادل بين الأقطار العربية نفسها ، وفتح الأسواق العربية أمام المنتجات الغربية خصوصا ، وغلقها أمام بعضها بعضاً ، بفعل إقامة الحواجز الجمركية بين الأقطار العربية من جهة ، وعجز مقاومة إغراء السلع الأجنبية أمام المستهلكين

العرب من جهة أخرى . وهرولة الأنظمة العربية نحو الخصخصة ، (٤٩) و إلغاء دور الدولة والتزاماتها القانونية أمام مواطنيها ، كشرط للحاق بركب العولمة أو العالم الجديد الذي يملي شروطه عبر المؤسسات المالية الدولية والأمريكية ، لتحقيق النمو والتنمية والتطور المنشود دون امتلاك مقومات الشراكة العالية في الاقتصاد والتجارة التي ما تزال بعيدة عن التحقق ، ولم تحقق من ذلك سوى فتح الأسواق العربية أمام منتجات الغرب عموما وأوربا خصوصا ، والتسليم بضرب الاقتصاد العربي ، ومقوماته وعوامل ازدهار داخل الوطن العربي ، الأمر الذي أخل بالعدل الاجتماعي وتراجع أولويات الأمن القومي ، وإحلال قيم السلع بدلا من القيم الدينية والخلقية الإنسانية ، وكثير من قيم الحياة مع نهاية المطاف تشكيل نمط الشخصية العربية منفصلة عن جذورها الوطنية و القومية (٥٠)

٣- إعلاميا: أثبت الإعلام العربي تخلفه في أدائه كما وكيفا ، وعجز عن امتلاك القدرة على مقاومة الإعلام الغربي تقانة وبرامج،وسرعة وقدرة في اختراق الحدود القومية والوطنية إلى الآخر ، فهو يعيش حالة من الفقر المعلوماتي والنقل من الآخرين أخبارهم ، ومعلوماتهم ،خصوصا في ظل الفضائيات المنتشرة في العالم وتحكمها في مصادر لمعلومات ، واعتماده فقط على ما تنشره أكبر الوكالات الإعلامية الغربية ، ولا يساهم سوى بنسبة ٣٪من معلوماته ، - وإضافة إلى حالة تخلفه في أدائه وتقنياته ومعلوماته ، وبرامجه . فهو يفتقر إلى الحرية ، لأنه في كل أصنافه تابع للنظم السياسية التي تمارس عليه الرقابة في معلوماته وأفكاره وبرامجه . وهو يكرس حالة التخلف بأشكاله ، الأمر الذي يجعل المواطن العربي يتجه طواعية إلى الإعلام الأجنبي ، للثقة في معلوماته وحرية استقلاله ولو شكلياً .

٤) فكرياً وثقافياً: استطاع النظام الدولي الجديد والعولمة الجديدة أن تجد لها من بين أبناء الأمة ، ومفكريها من بروج لهذه السياسة الدولية بوصفها النموذج الذي يجب أن يحتذى به . فظهرت الجمعيات والمنظمات المحلية والإقليمية التي تمثل وسيطاً من وسائط هذا النظام الجديد . كما انبرى كثيرٌ من دعاة الثقافة الاستسلامية من أبناء الأمة للتشكيك في إمكانية الأمة في النهوض والمواجهة من

جهة ، و تروج للثقافة العولمية كقدر لابد منهُ ووسيلة للتحديث الحضاري المزيف من جهة أخرى.

٢-٤- آثار العولمة الثقافية ونتائجها على الهوية الثقافية والوعي القومي .

١- ٢-٤- تراجع الفكر والوعي القومي والعمل السياسي العربي تجاه القضايا المصيرية .

أ - إن غياب المفهوم القومي في أدبيات الفكر السياسي العربي ، أوفي وجدان القادة العرب جعلهم لا يجمعون على شيء بشأنه ، قدر إجماعهم على أن وضعنا مؤلم مترد منهزم . بسبب فشلهم المستمر في تجمعاتهم على كافة المستويات وفي كل القمم ،بعد قمة بغداد عام ١٩٨٩ وحتى الآن ، في اتخاذ أي قرار جمعي يعكس طموحات وآمال والآم شعوبهم ، بل أن فقدان الوعي القومي واستلاب الإرادة العربية السياسية ، جعلهم يتجهون إلى مصدر القوة والهيمنة الأجنبية أكثر من رجوعهم إلى ذاتهم وقوتهم الداخلية ، ولا تلتمس الجدية في تداعيهم أو قراراتهم ، إلا حيث تجد أمريكا القوة الاستعمارية العالمية .(تطبيق مشروع الدفاع العربي المشترك على العراق في عام ١٩٩١م مثلاً) .

ب - لا يوجد أي مضمون قومي واحد للسياسات والقرارات العربية التي صدرت خلال العقد الماضي ، والعقد الجديد وحتى اللحظة . بل أفضى بعضها إلى نتائج عكسية . (قمة بيروت ٢٠٠٢م مثلا ً(والعدوان الصهيوني الذي أعقبها على فلسطين، وحصار (عرفات) في قصره ومحاولة قتله . والعدوان الأمريكي على العراق ، بعد قمة (شرم الشيخ) مع مطلع عام ٢٠٠٣م ، وبداية الانفراج النسبي في العلاقات بين العراق ودول الخليج العربي عموما والسعودية خصوصا .

جـ) بسبب غياب هذا المفهوم وتصدعه ، بلغت التهديدات الأمريكية للعرب أقصاها ، بفعل غياب ردود الفعل العربية الرسمية عبر البيانات والقرارات أمام العنجهية الأمريكية والدعم اللامحدود للصهاينة ، الأمر الذي خلق انطباعا راسخاً بأن العرب خائفون من أمريكا خصوصا بعد أحداث (١١ أيلول ٢٠٠١م) ، وانطباعا موازياً بأن هذا الخوف ناجم عن الفرقة وعدم الثقة بين قيادات الأمة ببعضها وعدم القدرة على رسم سياسة ذات مضمون قومي عربي [٥١] .

د) استمرار العدو الصهيوني في احتلاله فلسطين ، وممارسة القتل والتعذيب والتشريد ، بلغ ذروتهُ في المذابح البشعة في كافة المناطق الفلسطينية وقياداتها وفصائلها ، معززة بالتهديد والعقاب الرادع ضد المقاومة أو من يجمعها أو يدعمها بوصفها إرهاباً يجب محاربتهُ ،كما تحاربهُ أمريكا في العالم (٥٢)

هـ) شن أول هجوم من نوعه من الإعلام والساسة الأمريكان على أكبر حليف عربي لهم وهي السعودية ، ويستعصي على العرب اتخاذ أي موقف أو قرار ذي مضمون قومي يأخذ عربية السعودية بعين الاعتبار ، أكثر من قدرة أمريكا في الضغط علينا ، الأمر الذي جعل السعودية تتقدم بمبادرة للسلام تعبيرا عن التوافق مع أمريكا خشية ، أو رغبةً في السلام مع الدولة الصهيونية ، وما يزال التهديد مستمراً حتى اللحظة الراهنة ، ولم يشفع لها كل ما قدمته لها من خدمات . (٥٣)

٢- ٢-٤- تناقضات مفاهيم الهوية الثقافية والقومية بصدد العلاقة بين الذات والآخر .

أ) لقد خلقت حالة المتناقضات في المفاهيم الثقافية القومية وتحديدها بين الموقف من الذات ، والآخر في العقود الخمسة الأولى من (القرن العشرين) عند الإنسان العربي ، مع نهاية الثمانينات وحتى الآن . الأمر الذي جعلها تتصادم أحيانا ، وتتعايش أحياناً أخرى داخل الذات العربية نفسها ، نتج عنها ضعف الثقة بالنفس فرديا واجتماعيا وقطريا وقوميا ، خصوصا بعد التطورات المتسارعة على المستوى الإقليمي والدولي في السياسات والعلاقات الدولية ، وتغير المراكز والأدوار وتغير ومواقعنا فيها ، نتج عنها كذلك تشرذم الهوية ، عبرت عن نفسها من خلال اتحادات جزئية ، أو تحالفات هامشية بين أقطارنا نفسها ، وبينها وبين الآخرين . وتشتت الجهود العربية ، بين الاتجاه إلى الثقافة الغربية ، وبين الاتجاه نحو قاسم مشترك يجمعنا بغيرنا مثل الإسلام . وبين ولاءات فكرية قديمة / جديدة ، أو مذهبية أو طائفية وعرقية . وإزاء هذا التمزق برز بجلاء عداء الغرب لنا عموما ، ولمكونات ثقافتنا وهويتنا العربية المشتتة خصوصاً (٥٥) .

ب) إن الهوية العربية ، التي شد بها الإسلام ، وأزال تناقضاتها في عصره الأول ، قد تعرضت بفعل كل ما سبق لفقدان طابعها وبريقها ، وتشوهت معالمها ،وبفعل عوامل أخرى ، أفرزتها العولمة الجديدة أبرزها مخالب العنف ، وأنياب الجشع . وبفعلها

تناسى الإنسان العربي نفسه ، وتناسى لغته وثقافته في عالم البورصة ، وطغيان لغة الأرقام عليها في عقر دارها ، وكان لضعف الدور التربوي العربي (في ديمومتها وإسنادها والتخلي عن مكونات الثقافة لأخرى ،تدريجيا ، الأثر الواضح الذي لم تعد بعده قادرة على الصمود [٥٦] بل وصل بنا الأمر إلى الحد الذي يجعلنا ننكر هويتنا الوطنية أو القومية أو الدينية ، وإبدالها عند الجواب عن السؤال من أنت ؟ بأني من الشرق الأوسط ، ونهرب من هويتنا كما نهرب من عيوبنا الاجتماعية [٥٧] . فإذا كان الحال هذا بالمثقف العربي الذي تربى على القومية ، ويتخلى عنها ، فكيف الحال بمن لا يزال عودا طرياً يتشرب ثقافة العولمة المشوهة على أنها ثقافته الوطنية أو القومية ، في المدرسة والجامعة والكلية والسينما والمسرح ، وعبر الشاشة الذهبية في المنزل .

٣- ٢- ٤- **زعزعة القيم الدينية والأخلاقية والثقافية داخل وجدان الإنسان العربي .**

أ) يتجلى الأثر الأول للعولمة الثقافية بهذا الصدد ، في أنها قد شرعت - وما تزال - في زعزعة القيم الدينية ، والمفاهيم القيمية ، الوطنية والقومية ، حتى الإنسان العربي يصل إلى مفترق ، الطرق ، وبدأ شعوره يعيش حالة من الازدواجية ، بين التمسك بهذه المفاهيم من ناحية ، و الإقبال العشوائي على اقتباس كل ما يرد من الخارج من ناحية أخرى . وبدا كل من المنزوي والمقبل دون تحفظ ، أنه يسلك توجهاً خاطئاً ، متخلياً عن تنمية قدراته الذاتية والإبداعية والنقدية ، بل وصل في أحيان كثيرة في (ظل هذه الفجوة) إلى الاغتراب عن نفسه ، و واقعه وأمته [٥٨] .

ب) أما الأثر الثاني للاختراق الثقافي فيتجسد في تكريس الفصل بين القيم العروبية والقيم الدينية الإسلامية، وإحلال القيم الغربية محل القيم الوطنية والقومية بصور وأساليب شتى ، مثل :- ١- بث القيم والمعايير الغربية (عبر الوسائل المختلفة) في المجتمع العربي ، وتغيير نمط الحياة بأكملها بما يحكم طوق التبعية الأبدية . ٢- إيقاع الطلاق بين العروبة والإسلام من خلال إنكار علاقة الأخوة والوحدة بين العرب والشعوب الإسلامية ، بدءاً بضرب الدولة العثمانية ، ونهاية

بدفع العروبة ، إلى التغريب ، و إلى حمل مضامين آتية من المدارس الفكرية الفرانكفونية والأنجلوسكسونية . ٣- رفض مقولة الأمة العربية ، والوحدة العربية ، وتكريس التجزئة والإقليمية .٤- طمس التاريخ الإسلامي للأمة العربية ، وإبراز نزعة العودة من الناحية الأيدلوجية ، إلى عهد الوثينات والقوميات القديمة . ٥- محاربة فكرة القومية بوصفها وسيلة لحركة تحرر واستقلال وحدة فلسطين أرضاً وإنساناً . ٦- فكرة التغريب في المجتمع العربي عبر مقومات التبعية والإلحاق المرتبط بالتجزئة ،من خلال الترويج للمقولات التي تصب في هذا الاتجاه . ٧- العمل على الانتقاص من قدر اللغة العربية ، وأهليتها وتشجيع اللغات الأجنبية القادمة مع تكنولوجيا العلم والتقانه ، و تشجيع اللهجات الإقليمية والمحلية العامة ، لتكريس التجزئة العربية ، وتحطيم بناء الهوية القومية للمشروع النهضوي العربي القومي [٥٩].

٨- وعبر وسائل الاتصال الحديثة حاولت وتحاول (العولمة الثقافية)اختراق الحدود القومية بما هي حدود ثقافية باتجاهين: **الأول** : التأثر بمراكز صناعة الثقافة من أجندة العلوم الاجتماعية ،وحتى أنماط التربية الاستهلاكية . **الثاني** : تعددية ثقافية ،تتجلى في اكتشاف الهويات الثقافية الجزئية (ضمن الدولة القومية أو الدولة الوطنية)، الأمر الذي لا يعني زوال الأمة أو تصادم مفهومها ، بل يعني تفتيتها إلى قوميات عدة تطالب بدورها بدول قومية ، أي التحول إلى (أمة) على أساس أثني ، أو عرقي ، وهي وحدة أصل مزعومة . وقد يتم تأطير التعددية الثقافية الناجمة عن طمس حدود الدولة القومية كحدود ثقافية ضمن المواطنة الديمقراطية ، التي تغدو الرابط المدني بين الأفراد المنتمين إلى ثقافات متعددة (لبنان مثلا) وما تحاول صنعه في فلسطين والعراق إلاّ مثالاً على ذلك ([٦٠] .

٤- ٢- ٤- فرض الوصاية على محتويات الكتب الدراسية فيما يخص القيم الدينية والثقافية القومية .

لم تزل الفلسفة التربوية العربية تراوح في مفترق الطرق ، بين محاولة تجاوز حالة التخلف المتوارث من جهة ، ومقاومة أثر الاختراق التربوي بعد خروج

الاستعمار ومحاولات التحديث من جهة ثانية ، ومن جانب آخر ، تقع الفلسفة التربوية العربية في مأزق جديد ، هو تأكيد وجودها ، ومقاومة أخطار العولمة ، وما تفرضه من اضطراب في تكرار تعديل مبادئها وأهدافها واختلافاتها المتسارعة واللاعقلانية ، وعبر التبدل المستمر (غير العلمي ، وغير النقدي) للمناهج الدراسية مع مقاومة الاختراق الكلي والجزئي ، لمكونات الهوية والثقافية القومية والدينية في محتوياتها .

ولا شك إن آثار (الاستعمار السابقة) في التربية والثقافة في تهميش تلك المفاهيم ، وأثر الحداثة والتطبيع الحالي ، بعد سلسلة المعاهدات والتحالفات الغربية والصهيونية مع بعض الأقطار العربية ، قد زادت من تراجع المفاهيم النظرية ذات الطابع الاستقلالي القومي الجهادي والكفاحي في كثير من مفردات المقررات الدراسية الدينية والاجتماعية ، كما هو الحال (مع مصر والأردن وبعض دول المغرب العربي) ❖ ، و الشيء ذاته في اتجاه بعض الدول الخليجية بطواعية مباشرة تماشيا مع العولمة الثقافية (الأمريكية) ، أو بأمر من كبار الساسة الأمريكان ، لدول كبرى في الخليج العربي والجزيرة مثل (السعودية) . - كما أشرنا سابقاً - ومع ذلك فالوضع مختلف بالدرجة ، والنسبة بين بقية الأقطار العربية . بين محافظ تماما على طبيعة الخطاب القومي العربي . مثل العراق واليمن وسوريا ، وربما السودان وليبيا ، أو بين أقل محافظة في أقطار أخرى - غير مصر والأردن - و أقطار المغربي العربي (تونس والجزائر والمغرب) [٦١] ❖❖

- فبعضها زاوج بين القطرية والإسلامية (السعودية وبعض دول الخليج مثلا) ، وبعضها قطرية – قومية – علمانية (لبنان مثلا) ، وقومية – قطرية – علمانية (سوريا مثلاً) والأخرى قطرية إقليمية تغريبية ((دول المغرب العربي) مثلاً . أما في اليمن والعراق :- (القطرية القومية والإسلامية) فقد رجع الباحث إلى آخر طبعة للمقررات الدراسية (٢٠٠٠م وما بعدها) في (اللغة العربية ، والمواد الاجتماعية) ، المقررة على المرحلة الثانوية والصفوف ، لأخيرة من المرحلة الأساسية في اليمن ووجد أنها : (مقارنة بطبعات سابقة) ، ما تزال تحفل بالكثير من المفاهيم

القومية والوطنية ، على وفق النمط الموجود في تلك المناهج قبل التسعينات وعلى وفق الخطاب الإعلامي العربي المعاصر ، منذ بدء الانتفاضة وحتى اليوم ، دون تبديل وقد شمل التحليل والفحص كتب (الاقتصاد) والمفاهيم القومية ، والاقتصادية فيه ،مثل : - التكامل الاقتصادي العربي ، والوحدة الاقتصادية العربية والسوق العربي ، والتعاون العربي ، والوحدة العربية ، والعمل العربي المشترك ، مقومات الوحدة العربية .

والحال أكثر في كتب (التربية الوطنية) ذات المضامين القومية ، والهوية الثقافية العربية ، ومسميات قضايا الصراع العربي الصهيوني مثل : الكيان الصهيوني ، والصراع العربي الصهيوني ، وكتب أخرى ، مثل : التاريخ العربي المعاصر ، والتاريخ الحديث للصفين الثاني والثالث الثانوي ، والتربية الوطنية للصف الثامن أساسي ، والتاريخ الحديث للصف التاسع الأساسي ، وامتد الأمر إلى فحص موضوعات كتاب (القراءة للصف الثالث الثانوي) وجلها تتضمن المفاهيم القومية وتؤكد وخلق الاتجاه الإيجابي نحوها ، والحال ما شاهده الباحث في المناهج الدراسية في العراق التي تعد أكثر تقدما في المحافظة على المفاهيم القومية والوطنية من خلال إطلاعه عليها أثناء تواجده في العراق لمدة ست سنوات من (٩٤- ٢٠٠٠م) وإلى ما قبل احتلال العراق عام ٢٠٠٣م .

لكن الذي لم نستطع إهماله ، هو دور وسائل التنشئة الاجتماعية والتربوية الحديثة : [وسائل الإعلام المختلفة بآلاتها الحديثة]، وموادها وبرامجها القادمة من الغرب . فقد تسرب من خلالها - إضافة إلى استقدام التكنولوجيا وأساليبها الحديثة ، في المؤسسات التعليمية - ، جزء لا يستهان به من الثقافة العولمية المادية إلى عقول الجيل والنشء والشباب العربي مثل : تدوير وترديد قيم سلع الكوكلة والكنتكة والجاكسونية ، وأشرطة الفيديو كليبات ، والفضائيات والمحمولات التي تكرس - كذلك - نزعة العنف والفردية ، والربح السريع ، وتنامي استخدام اللغة الأجنبية عبر الحاسوب والانترنت ، وفي مدارس التعليم والجامعات الخاصة ، واختزال اللغة العربية في اللهجة العامية ، وتعالي معزوفات التسوية كضرورة

للاستقرار والتنمية وغير ذلك مما شاع في ثقافتنا الوطنية والقومية ، عبر مقاهي الانترنت ومراكز الاتصالات والمعلومات [٦٢] .وهذه ربما تبدو – رغم خطورتها – متفاوتة الأثر بين الأقطار العربية ، كما تبدو ذات أثر سطحي سرعان ما تتلاشى عند الأزمات والتحديات التي تقع على الأمة .

المبحث الثاني :
قراءة فلسفية لأساليب مواجهة مخاطر العولمة الثقافية على الهوية القومية والثقافة العربية الإسلامية.

لقد أصبحت قضية مواجهة تحديات العولمة عموما ، والعولمة الثقافية خصوصاً، الشغل الشاغل للمهتمين في الشأن الثقافي والفكري والتربوي العربي المعاصر لشعورهم بخطورتها على الأمة بأسرها .

ولما كانت العولمة واقعا لا مفر منه ، و لا بد من التعامل معه ، ولكن على وفق منهجية علمية ، بعيدة عن العواطف تستحضر القاعدة العلمية : (لكل فعل رد فعل مساو له بالقوة مضاد له بالاتجاه) بغية المحافظة على التوازن ، بين ما تريد الحصول عليه ، وما نريد المحافظة عليه ، فنحن بحاجة إلى التحديث في المجالات كافة ، و الانخراط في عصر العلم والتقانة بخاصة ، ونريد الحفاظ على هويتنا وثقافتنا ، بوصفهما حاجتين متكاملتين متلازمتين ، تلازم العلة بالمعلول ، والشرط مع المشروط وفق علاقة تسمح ربط الحاضر بالماضي ، وتستعد بكفاءة لمواجهة المستقبل [٦٣] .❖

ومن وسائط الاختراق وأساليبه ، تنطلق المواجهة ، مع إضافة الأساليب الأخرى ، التي أتاحتها حالة التحديث والعولمة بما أتت به من فوائد ، مثل : ثورة الاتصالات و المعلومات والثورة العلمية التي توصل إلى المزيد من ترابط الشعوب في عالمنا وإلى ظهور إحساس بالوحدة بين الشعوب ، في مواجهة هذه التحديات السلبية نفسها [٦٤]

أولا : الرد من خلال (الفلسفة السياسية) العربية الفاعلة .

من المعلوم أن الفكر السياسي العربي والنظم السياسية العربية ، تعاني من جملة أمراض مزمنة ، وحديثة . بعضها راجع إلى ما خلفه الاستعمار ، وبعضها راجع إلى طبيعة الأنماط التقليدية المعقدة التراكيب (الاجتماعية والاقتصادية) ،

(الظروف الديمرجرافية ،والجغرافية) ، في العالم العربي ، فغياب الديمقراطية ، وغياب التداول السلمي للسلطة ، واستمرار الصور التقليدية للأنظمة السياسية ، وعدم وجود مؤسسات سياسية برلمانية ، وقضائية ، وتنفيذية) ، فاعلة في توجيه القرار السياسي العربي ، على المستوى الوطني والقومي من جهة ، وغياب العلاقة الحميمة بين السلطات العربية وشعوبها ، واعتمادها على الحماية الأجنبية ، واتخاذ سياسة القمع والتنكيل في إدارة شئون الوطن ، و تهميش دور الأحزاب والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني - إن وجدت - في إصلاح الأوضاع الداخلية ، أو تصحيح مظاهر الخلل في أجهزة السلطة الرسمية من جهة ثانية . ربما كل هذه أضعفت الدور الرسمي العربي في المشاركة في بناء المشروع النهوض القومي العربي ، وتحقيق حالة من التوازن في العلاقة بيننا وبين الآخرين . فضلاً عن جملة الإحباطات التاريخية للنظام السياسي العربي ، التي أشرنا إليها سابقاً .

كل ما سبق ، لا يحول دون خروج نظمنا السياسية وخطابنا السياسي المزق من حالته هذه إلى وضع أفضل ، يمكن من خلاله تحقيق أهداف الأمة المنشودة ،وإمكان المحافظة على هويتنا وقوميتنا ،بفعل أداء جديد ، استنادا إلى عوامل أساسية مهمة في تاريخنا السياسي ومنها :-

ا) تخطي حالة الشعور بالإحباط النفسي ، الناجمة عن الهزائم المتواصلة أو أوهام الصعوبة الديموجرافية الطبوغرافية ، والموانع الجغرافية ، فالقدس احتلت لمدة ٩٠ عاما ، وتحولت إلى كنيسة ولم ينس أحدُ أن أسمها (القدس)ثم تحررت ،والأزهر الشريف تحول إلى اصطبل للخيول إبان عهد (بونابرت)، وأنه ليس في ديار الإسلام والعروبة بقعة ،إلا وأصيبت بواقع أليم ، وهذه سنة مقررة (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون) [٦٥] .

وإذا كانت الصحراء ، والعوائق الجغرافية ، العقبة ، المانع من الوحدة العربية ، و لا تكون عقبة في اندماج العالم العربي في القرية الكونية الذي بات ممكنا ، فكيف لا يكون ممكناً في ظل توافر الشروط الأقوى (للوحدة العربية) أن ننخرط في نسيج اجتماعي واحد ، وأمة واحدة [٦٦] .

ب) التخلص من عقدة (النقص) والشعور بالعجز ، في أنظمتنا السياسية ، أمام استحالة التوحد في العصر الراهن ، وهذا لا يحتاج سوى إعادة النظر ، وقراءة الشواهد التاريخية للأمة العربية ، التي أكدت إمكانيات التوحد ونتائجها الإيجابية في تحديد مصير الأمة ، وحماية مصالحها وحقوقها في الماضي البعيد ، أو الماضي القريب جداً ، ولا يحتاج سوى الثقة ببعضنا البعض ، والتوجه إلى الداخل ، بدلا من التوجه إلى الخارج ، كما يمكن الاستفادة مما حققته شعوب وأمم أخرى في العصر الحاضر ، بفعل صدق النوايا وجدية الإرادة ، ووضوح الهدف ، في ظل عالم قائم على التكتلات الاقتصادية ، والسياسية المختلفة . وما الوحدة اليمنية ، واتحاد ألمانيا ، والاتحاد الأوروبي ، إلا أمثلة بارزة على إمكان التوحد ، وعدم الاستحالة . فالاتحاد الأوروبي ، لم يقم على مكونات ثقافية أو حضارية أو دينية أو تاريخية ، وإنما على مواجهة تحديات التكتلات الأخرى ، وفي إطار النظام الدولي الجديد ، وهو أمر بالنسبة إلينا أسهل ،إذا صلحت النوايا أو توفرت الإرادة الحقيقية لدينا حكاما ومحكومين.

ج) تخلص الفكر السياسي العربي ، وأنظمتنا السياسة من عقدة الخوف من قوة العدو أو الأجنبي ، بأنها لا تقاوم ، لأن إرادة الأمم والشعوب لا تقهر ، ولا نحتاج إلى جهد للتخلص من هذه العقدة سوى تحرر إرادتنا ، واستخدام ما لدلينا من مقومات القوة المادية والروحية والفكرية ،فهي قادرةٌ بأجمعها أن تجعلنا في موقع الندية والفاعلية مع الآخر ، وعناصر القوة لديه . وتمكننا - كذلك - من الحفاظ على هويتنا ،وإقامة مشروعنا النهضوي الحضاري القومي المنشود ، كما كانت قادرةً بالأمس .

د- إن حالة التراجع في مشروعنا القومي وضمور الفكر القومي وتراجع مفاهيمه داخل كياننا وثقافتنا ، يمكن أن يعود إلى حالته الطبيعية ، إذا اتجهت مؤسساتنا (الرسمية و غير الرسمية) بصدق ، إلى إنجاز الوحدة (بأية صورة تبدأ) ، وتستطيع - كذلك – بثقة ، الدفاع عن الهوية ومفردات القومية والأمة . وهذا ما أكدته الشواهد الماضية أو تؤكدهُ الشواهد الحاضرة [٦٧] .

هـ) إن القضية الفلسطينية المركزية للأمة العربية عبر استمرار حالتها ،وعبر تاريخها قد ساعدت على استمرار الوعي القومي ، داخل كيان الإنسان العربي العادي والمثقف في الأقل ، وهي القادرة الآن (بفضل الانتفاضة المباركة)على رفع معدل اليقظة القومية والوعي القومي ، وإعادة الاعتبار للذات والهوية العربية من خلال بناء استراتيجية دائمة لمكافحة الصهيونية ، وبتلازمها وتلاحمها مع المقاومة العراقية تستطيع أن تصلح اعوجاج مسار الفكرة القومية ، وتعيد الثقة للأمة في نفسها من جديد [٦٨]

ثانيا :المواجهة والرد من خلال التربية والفلسفة التربوية العربية المعاصرة

التربية : (نظام وأسلوب في الحياة ،بل هي الحياة بأجمعها) . يقول (جون ديوي) : وللتربية العربية الموقع المتميز في الدساتير العربية ، الأمر الذي كان (الاستعمار القديم - وما يزال الاستعمار الحديث)يركز على إدراجها في أجندة المقاومة مع العدو الصهيوني ، وعلى هذا الأساس ، فهي أهم مخلص لنا من أزمتنا ، ومخرج لنا في ظل العولمة الثقافية ، ومدخلنا إلى التنمية ودرعنا الواقي ضد الاكتساح الثقافي ، ومواجهة التفوق الصهيوني [٦٩] . وقد نبهنا الكثير من مفكري عصر النهضة العربية ، إلى أهمية الدور الذي تلعبه التربية كسلاح يستخدم لمواجهة الاختراق الثقافي لهويتنا ، بوصفها معنية بالجيل كله وليس بثلة من الناس [٧٠] . والتربية العربية - مثل غيرها - مرت من علمية ترميم إلى أخرى ، ومن إصلاح إلى آخر ، وخلال القرن الماضي ،وبداية القرن الحالي) ، ولا شك أنها تجاوزت طروحات ماضيه ، واستقدمت طروحات جديدة ، متأثرة بالمتبدلات المتسارعة في العالم (ثقافيا ، وعلميا ، وحضاريا) ، ولكن الخطأ أنها انطلقت مما هو كائن ، لا مما ينبغي أن يكون . فكانت الهوية الوطنية القومية ،تقوقعا على الذات ، وكانت اللغة أداة متأخرة ، وكانت الهوية القومية والدينية تعصبا وإرهابا . لذا على التربية والفلسفة التربوية - وعبر المناهج لدراسية - أن تعيد النظر في ما غيرته من مكانة للثقافة ، التاريخ ، وإنجاز الأمة التاريخية والحضارية ، إلى حيث يجب أن يكون فاعله ، في إعادة الاعتبار لهذه الهوية بوصفها مصدراً قوة المجتمع العربي

وحماية كينونته [٧١] وهذه تتحقق عبر جملة من الإجراءات والأساليب والوسائط من مثل :-

١) وضع معالجات وضوابط منهجية للتعامل مع تحديات العولمة في مجال التعليم من خلال: ا) إعداد دقيق للبرامج التعليمية عامة ، وفي مجال العلوم النظرية ، (إسلامية اجتماعية)، خاصة التي تقدم لأبنائنا وشبابنا . ب) عدم إتاحة الفرصة لإسقاطات غير مرغوب فيها ، مما تحمله ثقافة العولمة من مفاهيم (كونية – عولمية –) بديلة عن المفاهيم القومية ، التي هي أساس نمو الشخصية القومية ، وتأكيد الذات العربية ودافع للحفاظ عليها . جـ) الإفادة من البحوث الاجتماعية الجيدة في التنشئة الاجتماعية في مؤسسات التربية العربية ، وإعادة وإيضاح مفاهيم الانتماء ، الوطني والقومي . د) الاهتمام بتجديد الثقافة العربية (عبر التربية ومؤسساتها) ،من خلال الانفتاح العقلاني الواعي على الثقافات العالمية دون نسيان الأصالة في الثقافة العربية لتحقيق التوازن بين الحلقات التاريخية الثلاث :- الماضي – الحاضر – المستقبل). هـ) تكريس جهود التربية ومؤسساتها ، لتصحيح مفهوم العولمة ، بوصفها حالة عصرية تتصل بالجدوى من الثقافة (المعلوماتية) في التقدم ، وبوصفها هيمنة غربية أمريكية صهيونية ، في أوساط أبنائنا وشبابنا في المدارس و الجامعات . و) التركيز على أهمية إنجاز المشروع القومي العربي ، بوصفه مسلكنا الأهم في النهضة ، واللحاق بركب العالم الحديث ، خصوصا أن مقومات المشروع متوفرة كما ذكرنا ، وقد ظهر أثرهُ في عصر النهضة العربية مع مطلع القرن العشرين ، وحتى الثمانينات منه [٧٣] . ز) تصحيح الفلسفة التربوية العربية المعاصرة ، (عبر المناهج الدراسية والمؤسسات التعليمية) ، لمفهوم التاريخ العربي الإسلامي وحقيقته ، ولغتهم الجميلة ،وخلق اتجاه رافض للمحاولات القطرية المشوهة التي تسعى العولمة الثقافية إلى بعثها من جديد ، بحجة الانفتاح اللامتناهي على العالم بأسره ، والتخلي عن الفكرة القومية التي صارت بنظر العولمة لا جدوى منها [٧٤] .

٢) أن تضع السياسات التربوية العربية في مقدمة أهدافها ، تقديم مقررات في الثقافة العربية والإسلامية ، تشرح مختلف عناصر التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة موضوعية رصينة ومسئوولة ، إلى الأجيال الجديدة . مثل أن تعرف السنة عن الشيعة ، والشيعة عن السنة ،والزيدية عن الشوافع ، والأحناف والمالكية ، ثم يعرف كل هؤلاء عن المعتزلة والأشاعرة ، والفلاسفة ، والمتصوفة الخ ، مما يوفر أساسات علمية للتفاهم ، بمنأى عن العصَبية ، والمغالاة ، والتكفير بينها جميعا . فالناس أعداء ما جهلوا كما قال (الإمام علي كرم الله وجهه)، ولا بد أن يتعايشوا ، ويتعارفوا ، ويعرفوا الذات العربية الجماعية والهوية الحضارية معرفة عميقة ، كما تسعى إلى تنويرهم بمكونات الحضارة العربية الإسلامية (الثلاثة) :- التراث القديم على الإسلام – التراث الإسلامي الخالص – التراث الوافد [٧٥] وأن نؤسس هذا المفهوم بأسلوب يجعل من الممكن التحرك من خلاله في حوار رصين وصادق وهادئ ،حول هويتنا ، وتأسيس مرجعية فكرية مستقلة ومتكيفة مع العالم الذي نعيش فيه ، بحيث نبني عليه تراكما معرفياً وثقافيا مازال غائبا حتى اليوم[٧٦] . تربية الإنسان العربي المسلم على تقبل أخيه الآخر وتقبُل مواطنته مسلما أو غير مسلم وإرساء هذا التعايش والتحاور كشرط لإقامة مشروع حضاري مع الغرب أو الشرق [٧٧] ، وتكييف الأهداف التربوية العامة والخاصة مع تلك الأطر السابقة في الثقافة العربية ومكوناتها بما يعيد التوازن في شخصية الإنسان العربي ، وتكيفه مع الثقافة الاجتماعية .

٣) تعزيز الترابط الاجتماعي ، وانتماء الفرد للجماعة ، كمدخل للترابط القومي، وتجسيد هذه القيم في المناهج الدراسية وفق ربط جدلي بين الفكر التربوي ، والواقع الاجتماعي ، والفكر النظري ،والتطبيقي بين معطيات الثقافة الجديدة ، والمعابر الثقافية للأمة والدولة والمجتمع ، بما يحقق حماية الفرد من أعراض العولمة الثقافية وانبعاثها . [٧٨] .

٤) إن تعيد الفلسفة التربوية العربية المعاصرة في ضوء (تعديل ،وتطوير) مناهجها، ترتيب المبادئ التربوية على نمط تصاعدي يبدأ من المبدأ الإيماني ، وثم المبدأ الوطني ، والمبدأ القومي – المبدأ الديمقراطي – المبدأ العلمي – المبدأ المحلي – المبدأ التكاملي – مبدأ الأصالة – والتجديد ، المبدأ الإنساني ، الذي هو من جهة ، تأكيد مكانة الإنسان في المجتمع ونظام الوجود عامة ، ومن جهة ثانية، تعريف بمبدأ وحدة الجنس البشري ، ولمساواة بين الشعوب ، والأخوة والسلام والتعاون الدولي.

٥) إعادة العلاقة الطبيعية بين اللغة العربية والتربية في المناهج الدراسية وعلى مستويين :- **الأول** : إكساب صغارنا لغتهم الأم و الحفاظ عليها ، ومعرفة دورها وأهميتها في الحفاظ على الهوية ، والتنبيه إلى مخاطر فقدانها ، الذي يبدأ بالتبعية النفسية ،وينتهي بالاستلاب الثقافي للهوية وللأمة [٧٩]. **الثاني** : وهو خاص بتعريب العلوم ، إنقاذاً للغة العربية من الإهانة ، ومن خلال تحديد مكانتها في دروس اللغة العربية ، وموقف جامعاتنا من التعريب الذي يتسم بالاستحياء ، مع أن الموضوع لم يعد نابعاً من الحمية أو المحافظة على الهوية ، بل أنها أصبحت أداة لا غنى عنها للفكر ، وتنمية القدرات ، ووسيلة تذليل الإبداع التكنولوجي والمعلوماتي ، وهذا يتحقق من خلال :[بنوك المصطلحات . وتوفير نظم دعم المؤلفين بالقواميس وقوائم المترادفات والصيغ المسكوكة والمسارد وذخائر النصوص .وقواعد البيانات المعجمية لتوحيد المصطلحات . ووسائل التحليل اللغوي لصياغة المفردات على هيئة مجموعة من السمات الدلالية . وتكنولوجيا المعلومات بوصفها مشتركة بين العلوم ، وجسراً للتواصل المعرفي ، وتضيق الفجوة المصطلحية بين التخصصات العلمية [٨٠]

٦) الاهتمام بالبعد الاجتماعي الثقافي ، الذي يسهم في ترسيخ أساسيات مشتركة لثقافة المجتمع والأمة وقيمها ، تتصف بقدر من الموازنات الفكرية ، وتؤسس وشائج العروة الوثقى والتواصل الاجتماعي والإيجابي (بين الوطني والقومي)، أو خلق روح الاستشعار بالمسئولية والواجب تجاه بعضنا البعض ، وعلى أساس

الحوار العقلاني في استنهاض الدوافع الوطنية والقومية ، للمشاركة الديمقراطية من جهة ، تتسم بقدر من القوة في مواجهة اختلال النسيج الاجتماعي ، (الوطني والقومي) ، بطريقة (الصين) (خدمة كل ما هو عالمي لكل ما هو قومي ،أو عربي) من جهة أخرى ، وهذه مسئوولية يتحملها الأطراف العربية كافة ، فتداعيات حرية السوق وضرورة الخصخصة ، لا تبيح محظورات التعليم ومخرجات أهدافه [٨١] .

٧) أن تشدد الفلسفة التربوية على الاهتمام بأهم مؤسستين للتنشئة الاجتماعية للفرد العربي في مراحل نموه الأولى ، وهما :- **الأسرة** : بوصفها أول المصانع التربوية الاجتماعية . - **المدرسة** : وهي المعمل الثاني الذي يتصف بحالة التنظيم في الوظائف ، ولكي تؤدي أو تكمل الوظيفة الأساسية للأسرة ، وتساعد الأفراد على امتلاك القدرة على مواجهة التحديات ،وتصحيح مكامن الخلل في المفاهيم والمصطلحات والموضوعات ذات الصلة بالثقافة الوطنية والقومية [٨٢] .

٨) إصلاح مسار الفكرة الدينية وتصحيح المفاهيم الخاطئة عنها ، من خلال دراستها بعمق ، والحوار الهادئ حولها دون تشنج أو تخوف ، أو تأثير بشتى أنواع الإرهاب الديني الفكري والسياسي في هذا المجال ، وتقديم هذا التصور في مؤلفاتنا المدرسية الإسلامية ، وغير الإسلامية [٨٣] .

٩) أخيراً على الثقافة العربية (بكافة مكوناتها) وعبر (كافة وسائلها التربوية والإعلامية والفكرية) في ظل (العولمة الثقافية) ، أن تعيد النظر في إمكانياتها ، وقدرتها على الحركة ، في عالم ليس من صنعها ، ولا تملك سوى مواجهته بكل تفاصيله المفروضة عليها ، في عالم يحاور ما بين أقصى مظاهر التقدم وأقصى مظاهر التخلف ، وأن تجد القدرة على الحركة نفسها في مؤسسات التنشئة الاجتماعية والمؤسسات الموازية لها ، لكي تحافظ على مكانتها من جهة ، وتستوعب الأنماط الجديدة دون المساس أو الاضطراب في بنائها الأساسي من جهة أخرى [٨٤] .

الهوامش ، والمراجع :

١- د. أمان عبد المؤمن ، العولمة فرض على العالم العربي،في الفلسفة والإنسان ،ط، بغداد ،٢٠٠٢م ،ص، ٤٥٨- ٤٦٥ .

٢- د . عبد الجليل كاظم الوالي ، جدلية العولمة ، بين الاختيار والرفض ، (بحث) ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٧٥) ، ٢٠٠٢م ، ص ٦٣ .

٣- د . كنعان خورشيد عبد الوهاب ، عولمة الثقافة (المخاطر والمواجهة) (بحث) مجلة دراسات اجتماعية ، ط بيت الحكمة بغداد العدد (٦) السنة الثانية ، صيف ٢٠٠٠م ص ٥٥ وما بعدها .

٤- د . عبد الجليل كاظم ، جدلية العولمة ، مرجع سابق ، ص ٥٥ . ٦٤

٥- كنعان خورشيد ، عولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٥٥ .

٦- د . كريم محمد حمزة، الاختراق الثقافي، المفهوم والمرجعية والوسائل، (بحث)مجلة دراسات اجتماعية، ط بيت الحكمة، بغداد العدد ٦ السنة الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٤٢ - ٥٣ .

٧- ١٠ - أيضا ، ص ٤٦ - ٥١.

١١- كنعان خورشيد ، المصدر السابق ، ص ٥٧- ٥٨ .

١٢- د. محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية، (بحث)مجلة المستقبل العربي العدد (٢٢٨) السنة (٢٠) فبراير ١٩٩٨م ص ١١٨وله أيضاً : العولمة والعالم العربي ، ضمن : العرب والعولمة، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠م ص ٢٩٧ - ٣٠٠.

١٢- خورشيد ، المصدر السابق ، ص ٥٩ –٦٠ .

١٣- د . أحمد إبراهيم اليوسف ، علاقة التربية بالمجتمع وتحديد ملامحها النوعية ، مجلة عالم الفكر ، مج (٢٩) العدد (١) الكويت ٢٠٠٠م ص ٧- ٤٣ بتصرف .

١٤- د . محمد بشوش ، الوعي القومي في الأوساط الجامعية في المغرب العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٨٠) لسنة ١٩٨٥ ص ٢٢ - ٤٨وقارن : د . محمد خلف الله ، التكوين التاريخي لمفاهيم الأمة ، والقومية ، والوطنية والدولة ، في : القومية العربية والإسلام ، ط ٣ ، مركز الوحدة العربية ،بيروت ، ١٩٨٨ ص ٢٠ .

١٥- أيضا ، ص ٢٢ ، وقارن :د . أحمد كمال أبو المجد ، نحو صيغة جديدة للعلاقة بين القومية العربية والإسلام ، ضمن : القومية العربية والإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٢٥ .

١٦- د. خلف الله ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

١٧- د . عبد الإله بالقزيز ، العروبة والإسلام ، وصل تاريخي لم ينقطع ، مجلة المستقبل العربي ، (العدد (٢٥٤) /٤ /٢٠٠٠م ، ص ١٢٤ .

١٨- د . محمد عابد الجابري، العولمة في الوطن العربي، ضمن (العرب والعولمة)، ص ٢٩٧.

١٩- من مقرات البيان الختامي لاتحاد الاجتماعيين العرب المنعقد في بغداد ، عام ١٩٩٩م ، نشر في مجلة دارسات اجتماعية، بيت الحكمة بغداد، العدد(٣،٤)٩٩/ ٢٠٠٠م ، ص ١٠٤ .

٢٠- د . غسان سلامة ، نقد الفكرة العربية من موقع التمسك بها ، مجلة المستقبل العربي ، ع (٢٧٥) ٢٠٠٢ ، ص٨ .

٢١- أيضا ، ص ٨ .

٢٢- د . كريم حمزة ، الاختراق الثقافي ، مصدر سابق ، ص ٤٢- ٥٣

٢٣- أيضا ، ص ٤٦ .

٢٤- د . فريدة النقاش ، العرب وأسئلة الهوية ، م/ العربي ، ع(٥١٩) ، ٢٠٠٢م ، ص ١٧٢ .

٢٥- د . أياد القزار ، من تعقيبه على موضوع (الأصالة والثقافة القومية) للدكتور إحسان عباس ،(ضمن القومية العربية والإسلام) ، مرجع سابق ، ص ٤٨١ .

٢٦- د . محمد عمارة ، هل يمكن تحليل التاريخ بمنهج العاهات المزمنة ؟، م/ العربي ، ع: (٤٨٦) الكويت /٥/ ١٩٩٩م ، ص ١٣٦ – ١٣٩ .

٢٧- بتصرف من: د. أحمد إبراهيم اليوسف (علاقة التربية بالمجتمع) مرجع سابق، ص ٨- ٤٣.

٢٨- د . محمد عمارة. المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

٢٩- د . غسان سلامة ، نقد الفكرة العربية ، مرجع سابق ، ص ٨ ، ٩

٣٠- بتصرف من : د . أنور عبد الملك ، الغرب والعالم الإسلامي ، جدلية التاريخ ونظرة للمستقبل ، مجلة العربي ، العدد (٥١٩) الكويت ، فبراير ٢٠٠٢م ص ، ١٠٣ .

٣١- د . نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلوماتية ط١ عالم المعرفة ، الكويت ، ع (٢٥٦) ، ٢٠٠١م ص ٢٩٣.

٣٢- ابن باديس ، (كلمة حرة) ، نقلا عن :- د . ساجد أحمد عبل ، في ابن باديس والوعي القومي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٥٤) ، نيسان / ٢٠٠٠ ، ص ٦٣ .

٣٣- أيضا ، المصدر المذكور ، ص ٦٥ – ٧٣ .

٣٤- د . محمد بشوش ، الوعي القومي ، مرجع سابق ، ص ٢٢- ٤٨ .

٣٥- أيضا ، ص ٢٧ .

٣٦- أيضا ، ص ٢٧ .

٣٧- مولى سالم ، الولايات المتحدة والعولمة ، ضمن (العرب والعولمة) ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

٣٨- د . عبد الإله بالقزيز ، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ ، في: العرب والعولمة ، ص ٣١٣ .

٣٩- د: نبيل علي ، الثقافة العربية ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

٤٠- بتصرف من : د . كامل عمران ، عقبات تنمية منظومة العلم والثقافة في الوطن العربي ، مجلة جامعة دمشق ، (مج ١٦) ، العدد (٢) ، ٢٠٠٠م ، ص ٩ – ٥٠ .

٤١- د . محمد السيد سعيد ، عندما يكون التحول الثقافي طوق النجاة ، م/ العربي ، ع (٤٩٤) ، يناير ٢٠٠٠م ، ص ٤٣ – ٤٩ .

٤٢- ❖ من نصوص الرسالة الأمريكية للسلطة السعودية ، نقلاً عن : عبد الله سلام الحكيمي ، (أمريكا التي نريد ونحب)، النص في الثقافية اليمنية ، العدد (١٣٤) ٢٠٠٢/٣/٢١م ، ص ٨- ٩.

٤٣- أيضا ، ص ٩ .

٤٤- د. ساجد عبل ، ابن باديس والوعي القومي ، ص ٦٥ .

٤٥- د . إحسان عباس ، الأصالة في الثقافة القومية ، ضمن : القومية العربية ، ص ٤٤٧ – ٤٤٨ . ٤٦- أيضا ، ص ٤٤٨ .

٤٧- د . حامد عمار ، نحو تعليم المستقبل ، م / العربي ، ع (٤٩٤) ، ٢٠٠٠م ، ص ٥٠ – ٥١ .

٤٨- ٥٠ - د . خير الدين حسيب ، هل عرب أنتم ؟ ، المستقبل العربي ، ع ٢٧٥ ، ٢٠٠٢م، ص ٦- ٨ .

٥١- ٥٣ - أيضا ، ص ٧ ، ٨ .

٥٤ جورج قرم ، نحن والغرب وحالة انفصام الشخصية ، م/ العربي ،ع (٥١٩) ، الكويت ،فبراير ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٠٧ – ١٠٩ .

٥٥ بتصرف من د . فريدة النقاش ، الغرب وأسئلة الهوية (مصدر سابق (ص ١٧٠- ١٧٢) .

٥٦ أيضا ، ص ١٧٢ .

٥٧ د . حليم بركات ، المجتمع العربي في القرن العشرين ، ط ١ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،٢٠٠٠م ، ص ٩٢٢ .

٥٨ بتصرف من: منير شفيق، موقف القوى الخارجية وتحركاتها في مواجهة العروبة والإسلام، ضمن: القومية العربية والإسلام، ط ٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٨م، ص٦٤٠ .

٥٩ د . بشارة ، ضمن: العرب والعولمة ،ط١ مركز د. الوحدة العربية ، بيروت ٢٠٠٠م ص ٢٨٤.

٦٠ ❖- عبد الواحد هواش ، (شروط تغيير المناهج الدراسية في اتفاقيتي كامب ديفيد ووادي عربة ، النص في / الأحياء العربي ، ع/ ١٤٠ ، صنعاء ، ١٨ /١٢/ ٢٠٠٠م ص ٣ .

٦١ ❖❖ للمزيد انظر : (أبعاد)، صنعاء العدد (٢) ٢٠٠١م ص ٢٧- ٢٨ ، نقلاً عن القدس

٦٢ د . حامد عمار ، نحو تعليم المستقبل ، م/ العربي ، ع : ٤٩٤ ، يناير ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٠ –٥٥ .

٦٣ ❖❖ انظر د : حسين النقيب ، العولمة وقوة الدين الإسلامي ، ضمن : الفلسفة والإنسان ،ط١ بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢م ، ٤٨٥- ٤٩٥.

٦٤ انظر: توصيات الندوة الدولية للتعليم عن بعد، مجلة دراسات اجتماعية، بغداد ، ع/ (٣،٤)، ٩٩/ ٢٠٠٠م ، ص ٩٥ – ١٠١ ، وقارن : د . أحمد صدقي الدجاني، مستقبل العلاقة بين العروبة والإسلام ضمن:القومية العربية والإسلام، ط٣بيروت ١٩٨٨م، ص٤٨٩ .

٦٥ د . محمد عمارة ، هل يمكن تحليل التاريخ بمنهج العاهات المزمنة ، م/ العربي ، ص ١٣٧

٦٦ أيضا ، ص ١٣٦ – ١٣٩ .

٦٧ د . محمد بشوش ، الوعي القومي في المؤسسات الجامعية ، مصدر سابق ، ص٤١ .

٦٨ أيضا ، ص ٤١ – ٤٤ .

٦٩ د . نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مصدر سابق ، ص ٢٩١ .

٧٠ د . ساجد عبل ، ابن باديس والوعي القومي ، مصدر سابق ، ص ٧٣ .

٧١ بتصرف من : - روجيه جارودي ، العولمة المزعومة ، تر: د . محمد السبيطلي ، ط١ دار الشوكاني ، صنعاء ١٩٩٨، ص٩٠ - ١٠٠.

٧٢ ضمن توصيات ندوة التعليم ، مصدر سابق ، ص ١٠١ .

٧٣ بتصرف من د . نوري الموسوي ، دراسات في قضايا المستقبل العربي ،م/ د . اجتماعية ، بغداد ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ – ١٥١ .

٧٤ أيضا ، ص ١٥٠ – ١٥١ .

٧٥ د. محمد جابرا لأنصاري ، نحن في علاقة مشوهة مع النفس ، م/ العربي ، ع (٥١٨) الكويت ، ١/ ٢٠٠٢م ص ١٤٦ – ١٥٠ .

٧٦ جورج قرم ، نحن والغرب ، مصدر سابق ص ١١٠ ، ١١١ .

٧٧ د . الأنصاري المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

٧٨ د عبد الله الذيفاني ، التربية والمجتمع ، د . اجتماعية، ع ،٥١ بغداد ٢٠٠٠م ، ص ٧- ٨ .

٧٩ د . نبيل علي ، الثقافة العربية ، ص ٣٠٨ .

٨٠ أيضا ، ص ٣٢٦ . ٣٢٧ . وكذلك د . محمد بشوش ، الوعي القومي ، ص ٤٥ – ٤٦ وقارن :د . كامل عمران ، عقبات تنمية العلم والتقانة في الوطن العربي ، ص، ٤٧ .

٨١ د . حامد عمار ، نحو تعليم المستقبل ، مجلة العربي مصدر سابق ص ٥٥ .

٨٢ د. عبد الإله بالقزيز عولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٣١٢ .

٨٣ ❖ أنظر : نيت شوانلونج ، العولمة تحدي للتعلم الإنساني ، ترجمة : د . محمد سعيد الصباريني، مجلة الثقافة العالمية ، العدد (١٦٠) ، ٢٠٠٠م ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

٨٤ - نقلا عن: د حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مصدر سابق. ص٩٣٥ .